الجزء ٩ المجلد ٥



(دمشق) : ايلول سنة ١٩٢٥ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٤ هـ

انعاش العربية [1]

ان المهمة الملقاة على عاتق رجال العلم اعظم مما يقوم باعبائه اقطاب السياسة وابطال الحروب ومن شاكلهم ممن لهم ضلع في اعلاء شأن الامة لان هؤلاء قد ينهضون امة الى مستوى السعادة ولكنهم لا يعدمون ذأماً في الحال وذماً في المآل . هذا اذا أتيح لهم ان يبلغوها ساحل السلامة ولم يطوحوا بها في مهواة من الدمار والبوار تجعلها كأمس الدابر . وفوق هذا فانهم لا يستطيعون احياء امة الا باماتة غيرها اما الاولون فانهم يبنون لها صروحاً من المجد الشامخ والشرف الباذخ على اسس السلم ودعائم العلم ويتوخون لها اصفى الموارد واقوم المسالك فتحيا ويحيي غيرها معها والفرق بين الفريقين عظيم .

واذا اضفنا الى ذلك ان اللغة نموذج يمثل من الامة حسبها التالد وشرفها الطارف وعنوان يدل على مبلغها من الحضارة والرقي وتاريخ ينطق بمفاخرها اتضحت لنا باجلى وجه منزلة المجامع العلمية ودرجة الاعمال الموكولة الى رجالها .

أبه الغربيون الى مكانة اللغة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية فاخذت كل امة منهم تفرغ ما في وسعها لاحياء لغتها ونشرها في البلدان القاصية والارجاء النائية فكانت اعظم داعية للفتح وانجح وسيلة للاستعمار فقد كانت تستميل بها الابصار الى مدنيتها

(١) الخطاب الذي القاه الاستاذ السيد سليم الجندي يوم انتخابه عضواً في المجمع العلمي .

الزاهرة وتسترعي الاسماع الى مآثر ابطالهـا وامجادها وتستهوي الافئدة الى التشبع بآدابها وعاداتها وكان لها من الاثر في انسلاخ الضعيف من قوميته ونزوعه الى الاندماج في القوي مالم تغن الجيوش الكثيرة العدد والعُدد غناءه وما يغنينا عن الاطالة فيه مانشاهده اليوم في كثير من ابنائنا بعد ان كان آباؤنا بالامس يشاهدونه في ابناء غيرهم من الامم الضعيفة ·

ولقد اتى على العرب حين من الدهر لم تكن فيه امة من الامم لتشق غبارهم في العناية بلغتهم حتى بلغت مابلغتـه من السعة والاستفاضة بين اقصى الصين والجزائر الخالدة في اسرع من لمح البصر · وقد كانت تسير في ذلك العهد مع المدنية العربية جنبًا لجنب وكتفًا لكتف وترتقي في معارج الحياة على قدمي الحضارة والعلم ·

ومن رجع ببصره الى ما ابقت الايام من التاريخ والفهارس واحاط علماً بما ألف فيها من المعاجم والموسوعات وكتب البلاغة والادب والنحو والصرف والمقصور والممدود والكنايات والاضـداد والعروض والقوافي والاشتقاق وآداب الكتاب وتهذيب الالفاظ وما ماثل ذلك مما تتعذر الاحاطة بهـ علم مبلغ عنايتهم بها واهتمامهم باعلاء شأنها ·

ثم لما دالت الايام بالعرب وقلب لهم الدهر ظهر المجن اخذت في الانحطاط تبعًا لهم لان اللغة من الأمة بمنزلة الظل من الشخص تتبعها في الامتداد والارتقاء واضدادهما وقد زادها ضغثًا على إبالة تغلب الاعاجم على العرب قروناً كثيرة فسهل ذلك تسرب العجمة والرطانة اليها حتى افسدت جوهرها وقطعت اوصالها وذهبت برونقها ونضرتها وضربت فيها بعرق ذي أشب ثم اصبحت على تعاقب الايام غريبة في اهلها وآل امرها الى ما نعلم ونرى · غير انها لم تعدم في كل عصر ومصر من يُعنى بتعهدها والاحتفاظ بالبقية الباقية من ذمائها حتى قيض الله لها من ابناء هذا الجيل فريقًا شعروا بالواجب فعمدوا الى بعثها من مرقدها ونفثوا في رُوعها روح الحياة الجديدة فنهضت من كبوتها وأخذت تنفض عنها غبار الهجر وصدأ الاهمال ولكن طول الفترة اعوز القائمين بهذا العبء الثقيل الى اعمال جمة لايمكن ان تنال الا اذا تضافرت الأمة باسرها على تذليل كل صعب وازالة كل عقبة في سبيل الغاية المنشودة · وهذا امر بعيد المنال لغلبة الجهل في ابناء الأمة واضمحلالـ الاواصر الواصلة بينهم وبين اللغة واختلاف

اهوائهم ومنازعهم الا ان هذا لا يجب ان يكون داعياً الى الاستسلام الى اليأس ولا حاملاً على الاخلاد الى الدعة والخمول ·

و يلوح لي ان خير وسيلة تضمن انعاش اللغة وسيرها مع مدنية العصر الحاضر وتحفظ جوهرها من تسرب الخلل اليه · ان ننقح من شائبة العجمة والركاكة وان لا يصار الى الدخيل او العامي الا عند العجز عما يرادفها من الفصيح لان التسامح في استعمالها يفضي الى افساد اللغة وتكثيرها بغير فائدة والتباس الفصيح بغيره وانتشار الفوضى فيها والدليل على ما ذكرنا من وجوه ·

منها ان الكلمة اذا كانت موضوعة لمعنى بالوضع العربي ، ثم تداولت العامة كلمة اخرى تدل على ذلك المعنى فاما ان نقول بجواز اللفظين معاً فيكثر سواد المترادفات وهذا ما يأباه البلغاء في هذا العصر و يسعون للتخلص منه ، واما ان نهمل العربي العريق في العربية ونحتفظ بالعامي وهذا لا يرتضيه من ضرب بسهم في العلم لانه يستلزم ان يزال المعنى الصحيح من المعاجم والكتب حذراً من اللبس واستعمال المهجور وان يبطل الاحتجاج به و ينقض كل ما بني عليه من ضروب البلاغة والمحسنات في النظم والنثر و يستلزم فوق ما تقدم ان يتعدد الوضع في كل مصر واقليم · ومثال ذلك ان لفظ البلبل مثلاً يطلق في عرف الدمشقيين على الدوامة وهي الفلكة يلف عليها الصبي خيطاً ثم يطرحها على الارض فتدور واهل المعرة يسمونها « الصياح » فاذا قلنا بجواز استعمال الالفاظ الثلاثة وقعنا في المترادف وتعدد الوضع ، وان قلنا بجواز الاول دون الاخيرين او الثالث دون الاولين فهو تحكم محض و ترجيح بلا مرجح و يترتب عليه زيادة معنى آخر للبلبل والصياح لم يكن لها في اصل الوضع ولا اثبت في مظانه من كتب اللغة حتى يجهله غير الدمشقي والمعري مثلاً · فلم يبق غير التمسك بالفصيح الصحيح لعدم ترتب شيء من المفاسد المذكورة عليه و يقال مثل هذا في الدخيل و يزاد عليه ايثار الاعجمي على العربي لغير علة ظاهرة ولا حكمة مدركة ·

ومنها انا اذا اضفنا هذه الالفاظ الجديدة الى ما في المعاجم اختلط الحابل بالنابل وعسر تمييز الفصيح من غيره وما عربته او وضعته العرب مما عربه او وضعه غيرها وهذا يستلزم

ان لا يكون الكلام فصيحاً او بليغاً لفقد شرط الفصاحة والبلاغة فيه وهو الوضع العربي ولو اردنا ان نشير عند كل لفظ الى واضعه لخرج الامر عن حد الاحاطة به .

ومنها ان الشعر القديم مادة اللغة وأساسها ومحكها وقسطاسها ولو تسامحنا باستعمال الدخيل واخيه لأدى ذلك بعد قليل الى هجر اللغة القديمة والاستغناء عنها باللغة الجديدة لان النفوس نزاعة الى اطّراح ما فيه كلفة والاعتصام بالقريب السهل وهذا يفضي الى محو اللغة القديمة والقضاء على الآداب العربية بجملتها لانها مبنية على هذا الاساس .

وهناك وجوه كثيرة ضربنا صفحاً عن ايرادها خشية السآمة والملل .

وربّ معترض يقول ان هذا التكليف يستلزم استعمال الكلمات الوحشية و يكون عقبة كؤوداً في سبيل العلم والأدب لان الكاتب والمؤلف مثلاً اذا حاول العدول عن كلمة أعجمية لا يعرف مرادفها من العربي اضطر الى وقت طويل وعمل جزيل حتى يجد ضالته وهذا يحول بينه وبين إتمام ما شرع ما فيه أو يؤخره عنه وربما لا يجد بغيته على الرغم مما يصرفه من الجهد في البحث والتنقيب .

والجواب على ذلك :

اولاً ان الوحشة التي نجدها في بعض الكلمات العربية لم تجيء الامن طول هجرها وانقطاع المواصلة بيننا وبينها ولو تداولتها الالسن ردحاً من الزمن لزالت عنها تلك الوحشة واصبحت خفيفة الوقع على اللسان والسمع والدليل على هذا ان الكلمات التي ارشد اليها هذا المجمع الموقر مثل الجواز والفسح والمرأب والمحارة والران والمعطف والكمة والبيان ونحوها كانت تعد وحشية غريبة فلما صقلتها الالسن والاقلام مدة يسيرة انست بها النفوس اكثر من مرادفاتها الاعجمية وما اخال ان احداً يقول ان لفظ الباسابورط والبلاص والكاراج والميقروفون والطاقات والبلمارين والقالبق والعلم وخبر اخف وقعاً ولا اكثر انساً ولا اوفر رشاقة من لفظ الجواز والفسح وما عطف عليها .

ثانياً : اننا لا ننكر ان فيما اسلفناه شيئاً من الحرج . ولكن البناء على اساس صحيح مهما كان فيه من الكلفة خير من البناء على اساس فاسد لا كلفة فيه لان البناء على الفاسد فاسد .

ثالثاً : ان الباحث لا يجب عليه ان يجد بل يجب عليه ان يبحث فاذا لم يجد حاجته اوما يقاربها لجأ الى الدخيل او العامي ونزل فيهما على حكم الضرورة ولا يتسنى للغة ان تستعيد مجدها الا اذا كثر الباحثون ولو اتيح لهذه الامة ان يكثر فيها المتعلمون الشاعرون بمكانة اللغة في المجتمع البشري وينهجوا في احيائها على قاعدة توزيع الاعمال فينقب الطبيب مثلاً عن اسماء العلل والامراض والمفردات والتاجر عما يحتاج اليه في تجارته والصانع عما يختص بحرفته والعالم والمؤلف والشاعر والكاتب عما يفتقر اليه كل منهم لنهضت في وقت قصير الى مصاف اللغة الحية ·

ولكن الايام جعلت كُلاً منا كَلاًّ على اخيه يتوقع النجح منه حتى اصبحنا كلنا عالة على غيرنا ولم تدع لنا بارقة من امل الا في هذا المجمع الموقر ·

على اننا اذا نظرنا الى سير اللغة في البلاد السورية بعد جلاء الترك عنها وما قطعته من الاشواط البعيدة في بضع سنين رأينا امامنا فسحة من الآمال تبشرنا بمستقبل زاهر ولهذا لا يجدر بنا ان نفتر عن العمل ولا ان نحتقر شيئاً منه مهما كان قليلاً فان السيل العظيم يتألف من قطرات صغيرة والليّنة تخرج من نواة ورب همة أحيت امة ·





مباحث لغوية

من الالفاظ التي لا ترمي لها مقابلاً في المعاجم الاعجمية العربية (guerilla) وقد عربها بعضهم بقوله : (حُرَيب) وهو من باب التعريب المعنوي وقد جاء مثله كثيراً في كلام السلف ، على اننا اذا عرفنا اللفظة المشهورة عند العرب فلا نحتاج الى التعريب كما هو مقرر في دواوينهم · والكلمة التي عرفها العرب بهذا المعنى هو الترأبُل وزان التلألؤ ·

وانت خبير بان (حرب العصابات) او (الحريب) حديثة في ديار الغرب وقد اخذوها عن الاسبانيين وكانوا قد اتقنوا تنظيمها في سنة ١٨٠٨ والاسبانيون تعلموها من قوم يعرب حينما كانوا يشنون عليهم الغارات شنّاً لما احتلوا ديارهم في سنة ٧١٠ م وما بعدها · وكان يسمي العرب كل من يجري على هذا الوجه (ريبلاً) او (رئبالاً) ·

اما (الترابل) فقد ذكره اللغويون كلهم اجمعون ، من ذلك صاحب اللسان اذ قال : خرجوا يترابلون : اذا غزوا على ارجلهم وحدهم بلا والٍ عليهم · وكذلك ورد في القاموس والمحكم والتاج وغيرها ·

ودونك شاهد (الريبل) · قال ابن مكرم : الريبل اللص الذي يغزو القوم وحده اه · قلت : وكانوا يفعلون ذلك منذ عهد الجاهلية الجهلاء · قال ابن منظور : في حديث عمرو بن العاص (رضه) انه قال : انظروا لنا رجلاً يتجنب بنا الطريق · فقالوا : ما نعلم الا فلاناً فانه كان ريبلاً في الجاهلية اه ·

هذا في الجاهلية القريبة من الاسلام ، واما في الجاهلية الجهلاء ، فلقد كانوا يترابلون ايضاً وقد اخذوا معرفتها عن الاسد نفسه ، لما في ذلك العمل من مجاراة الليث الغشوم ، فقد قال في اللسان : فلان يترأبل اي يغير على الناس ويفعل فعل الاسد اه · لنا : ولما كان فعل الاسد قديم العهد بقدم وجوده : نتج من هذا ان العرب تعلموا ذلك العمل من الاسد لا من غيره · و يؤخذ منه ايضاً ان الرئبال هو بمعنى الريبل و يجمع على ريابيل او رآبيل قال النميري :

ويلقى كما كنا يداً في قتالنا ريابيل مافينا كهام ولا نكس

واذا علمت هذا فيحسن بنا نحن عرب العصر ان نتخذ لفظة السلف ، ولا سيما اذا كانت خفيفة على السمع رشيقة التركيب كهذه ·

ويقال في الترأبل : رأبلة ً ايضاً· قال ابن منظور : ترأبل ترأبلاً ورأبل رأبلة ً · ولهذه اللفظة عند السلف الصالح مرادفات طوينا كشحنا عن ايرادها ·

كثيراً ما قرأت في المنشورات الموقوتة ان لا مقابل في العربية لما يسميه الافرنج (chantage) لان مدنية عدنان وقحطان لم تبلغ مبلغ الحضارة العصرية حتى تضع الفاظاً لحاجاتها · اما نحن فلسنا على هذا الرأي وحسبك مخالفة هذا الرأي وقوفك على حقيقة (الشنتاج) فانه يراد به عندهم ، استحصال دراهم اونحوها من رجل بتهديده بافشاء سر يفضحه اونشر سيئة صدرت منه في الخفية تضره ضرراً بليغاً اذا عرفت اوشهرت · او ان تعتسر منه مالاً بتهديده بالتشهير ، او ان تشنع عليه حتى تنزعه او تقارب قتله ادباً او عملاً · وهذا الفعل كان معروفاً عند الناطقين بالضاد في جاهليتهم و باديتهم وحاضرتهم ، وان لم تكن المطبوعات شائعة في عهدهم ، بل ولهم بمعنى (الشنتاج) عدة حروف منها :

التشنيع · قال ابن سيده في المخصص (١٣ : ١٢٦) قال الفارسي التشنيع هوان تشنع عليه حتى تفزعه اوتقارب قتله اهـ· فهذا نص قديم على وجود التشنيع عند العرب ، اذ ذكره الفارسي بعبارة جلية حتى كأن الغربيين نقلوها عنه · والفارسي من اهل القرن الرابع للهجرة واوائل القرن الخامس ·

والظاهر ان اصل اللفظة بعين في الآخر كما اشار اليه المجد الفيروزابادي والسيد المرتضى ، والعرب تفعل ذلك طلباً لاحداث معنى جديد ، فقد قال ابن قتيبة في كتابه مشكلات القرآن : « قد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظتين كتقارب ما بين المعنيين ، كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب الا عند الضرورة (شروب) ، ولما كان دونه مما قد يتجوز به (شريب) الى آخر ما ذكر من الشواهد العديدة ادعاماً لرايه ·

ومما جاء عندهم بالمعنى المذكور (الاعتصار) ، فقد قال في التاج الاعتصار ان تخرج من انسان مالاً بغرم او بغيره من الوجوه ، قال :

فمن واستبق ولم يعتصر . اهـ .

واشتقاق اللفظة مأخوذ من مادة عصر ، كأن الرجل المهدِّد (بالكسر) يعصر المهدَّد (بالفتح) فيخرج منه ما يبتغيه من المال . والاعتصار أسلس من التشليج واقرب الى الفهم منها اليه . وعندنا ان الاحتفاظ بها يغني عن التمسك بغيرها ، وان كان اتخاذ المرادفات مما يستحسن ويستجاد .

ومما جاء عند العرب بهذا المعنى (التزمير) قال السيد مرتضى : زمَّر بالحديث : اذاعه وافشاه . وفي الاساس : بثه وافشاه . ومن المجاز زمَّر فلاناً وبفلان ، ونص الاساس : زمَّر فلان فلاناً ، وماذكره المصنف اثبت اغراه به (التاج في زمر) وهذا الاشتقاق غريب ، اذ هو نفس اشتقاق الافرنجية (شنتاج) المشتقة من (شنته) اي غنَّى وزمَّر ، بمعنى بث وافشى . وهذه اللفظة ايضاً رقيقة ارق من المتقدم ذكرهما ، الا انها قريبة من معنى آخر مشهور قد عرف به ، ولا مانع من اتخاذها ايضاً من باب المرادفات .

ومما جرى في وادي هذا المعنى قول الاقدمين من باب المجاز : قطع اللسان وهو قديم من عهد الجاهلية . قال في تاج العروس : ومن المجاز : قطع لسانه قطعاً : اسكته باحسانه اليه ، ومنه الحديث : اقطعوا عني لسانه . قاله السائل ، اي ارضوه حتى يسكت ، وقال ايضاً لبلال : اقطع لسانه ، اي العباس بن مرداس ، فكساه حلته اهـ . وهناك غير هذه الالفاظ .

عند ابناء الغرب محتالون يتكلمون من قعر حلوقهم ويخيلون للناس انهم يتكلمون من بطونهم ، او يوهمون الناس انهم يسمعون اصواتاً خارجة من مكان غير المكان الذي هم فيه ويسمون الواحد منهم (ventriloque) او (Engastrilogue) ومعناهما المتكلم من بطنه والاقدمون قد عرفوا ذلك ، كما ان الحيلة لم يجهلها العرب . فانهم يسمون المتكلم من قعر حلقه القيعر او القيعار او المقعار . قال في التاج : تقعر الرجل تشدق وتكلم باقصى قعر فمه ، وقيل تكلم باقصى حلقه ، وهو قيعر وقيعار ومقعار . انتهى . وللعرب في هذا المعنى لفظة اخرى وهي المُقَاعِق . قال في القاموس هو : المتكلم باقصى حلقه .

وقد ذكر صاحب نفح الطيب الزَوَاكرة فقال : من يتلبس (كذا مع ان الزواكرة لفظة مجموعة وكان حقه ان يؤولها بلفظةٍ مجموعة ايضاً فيقول مثلاً : الذين يتلبسون) فيظهر النسك والعبادة و يبطن الفسق والفساد (التاج) وظن دوزي ان الكلمة بربرية او مغربية • واظنها إرَميَّة وهي في هذه اللغة (زاكورا) اي داعي الجن والارواح ، والساحر ، والراقي ، والعراف ، والمقامق ، ومثل اصحاب هذه الامور كثيراً ما يظهرون النسك والعبادة و يبطنون الكفر والفسق • ولهذا اصف هذه الكلمة بين مرادفات المقامق ومفردها زاكور وكان حقها ان تجمع على زواكير لكنهم حذفوا الياء وعوضوا عنها بالهاء في الآخر كما قالوا في جمع بطريق بطارقة والاصل بطاريق فحذفوا الياء وعوضوا عنها بهاء في الآخر • ومثله كثير في العربية • «محقق»

شعراء الشام في القرن الثالث

٣

ديك الجن

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان ابن زيد بن تميم ، وديك الجن لقب غلب عليه [1] وجدُّه تميم من أهل مؤتة وهو أول من أسلم من اجداده على يد حبيب بن مسلمة الفهري أخذ محارباً ، وحبيب بن عبد الله ابن رغبان المذكور في هذا النسب كان كاتباً في أيام الخليفة المنصور وكان يتقلد الاعطاء واليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام وهو مولى حبيب بن مسلمة الفهري •

ولد ديك الجن في حمص سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة

(١) لم اجد من ذكر السبب في تلقيبه بديك الجن وقد زعم الدميري نقلاً عن القزويني ان « ديك الجن دويبة توجد في البساتين اذا أُلقيت في خمر عتيق وتركت في محارة ودفنت وسط الدار لا يرى فيها شيء من الارضة » ولعله لقب بديك الجن لكثرة خروجه الى البساتين ومعاقرته الخمرة •

وقد ذكر صاحب نفح الطيب الزَوَاكرة فقال : من يتلبس (كذا مع ان الزواكرة لفظة مجموعة وكان حقه ان يؤولها بلفظة مجموعة ايضاً فيقول مثلاً : الذين يتلبسون) فيظهر النسك والعبادة و يبطن الفسق والفساد (التاج) وظن دوزي ان الكلمة بربرية او مغربية . واظنها إرَميّة وهي في هذه اللغة (زاكورا) اي داعي الجن والارواح ، والساحر ، والراقي ، والعراف ، والمقامق ، ومثل اصحاب هذه الامور كثيراً ما يظهرون النسك والعبادة و يبطنون الكفر والفسق . ولهذا اصف هذه الكلمة بين مرادفات المقامق ومفردها زاكور وكان حقها ان تجمع على زواكير لكنهم حذفوا الياء وعوضوا عنها بالهاء في الآخر كما قالوا في جمع بطريق بطارقة والاصل بطاريق فحذفوا الياء وعوضوا عنها بهاء في الآخر . ومثله كثير في العربية . «محقق»

شعراء الشام في القرن الثالث

ـ ٣ ـ

ديك الجن

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان ابن زيد بن تميم ، وديك الجن لقب غلب عليه (١) وجدُّه تميم من أهل مؤتة وهو أول من أسلم من اجداده على يد حبيب بن مسلمة الفهري أخذ محارباً ، وحبيب بن عبد الله ابن رغبان المذكور في هذا النسب كان كاتباً في أيام الخليفة المنصور وكان يتقلد الاعطاء واليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام وهو مولى حبيب بن مسلمة الفهري .

ولد ديك الجن في حمص سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة

(١) لم اجد من ذكر السبب في تلقيبه بديك الجن وقد زعم الدميري نقلاً عن القزويني ان « ديك الجن دويبة توجد في البساتين اذا أُلقيت في خمر عتيق وتركت في محارة ودفنت وسط الدار لا يرى فيها شيءٌ من الارضة » ولعله لقب بديك الجن لكثرة خروجه الى البساتين ومعاقرته الخمرة .

وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول « ماللعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا ومن قتل منهم رجلاً منا قتل به ولم نجد الله فضّلهم علينا إذ جمعنا الدين » وكان يتشيع تشيعاً حسناً وله مراث كثيرة في الحسين كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . قال صاحب الأغاني : كان خطيب اهل حمص يصلي على النبي على المنبر ثلاث مرات في خطبته وكان اهل حمص كلهم من اليمن لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة ابيات فتعصبوا على الإمام وعزلوه فقال ديك الجن :

سمعوا الصلاة على النبي توالى فتفرّقوا شيعاً وقالوا لا لا
ثم استمرّ على الصلاة إمامهم فتحزّبوا ورمى الرجال رجالا
ياآل حمص توقعوا من عارها خزياً يحل عليكمُ ووبالا
شاهت وجوهكمُ وجوهاً طالما رغمت معاطسها وساءت حالا

ولعله احد الشعوبيين الذين اتخذوا التشيع وسيلةً للنيل من العرب ، لامذهباً يرجع الى عقيدة وإيمان ، إذ كيف نتفق سلامة إيمانه مع قوله :

أأترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبنٍ وخمرِ
حياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ حديث خرافةٍ ياأم عمرو

سكن ديك الجن حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدياً لأحد الا ما كان من صحبته لاحمد وجعفر ابني علي الهاشميين وهي الى الصداقة أقرب منها الى الاستجداء ، وكان خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وا كتسب بشعره من احمد وعلي الهاشميين :

قال :

تمتع من الدنيا فانك فانِ وإنك في ايدي الحوادث عانِ
ولا تنظرن اليوم لهواً الى غدٍ ومن لغدٍ من حادثٍ بامان
فإني رأيت الدهر يُسرع بالفتى وينقله حالين تختلفان
فاما الذي يمضي فأحلام نائم وأما الذي يبقى له فاماني

وكان يجتمع عنده المجّان وأهل الخلاعة وكان له ابن عم يكنى ابا الطيب يعظه

وينهاه عما يفعله ويحول بينه وبين ما يؤثر من لذاته وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمُجّان وأهل الخلاعة فيستخفُّ بهم وبه فلما كثر ذلك على ديك الجن قال:

يا عجبًا من ابي الخبيث ومن سروجه في البكائر الدثره
يحمل رأسًا تنبو المعاول عن صفحته والجلامد الوعره
كم طربات افسدتهن وكم صفوة عيشٍ غادرتها كدره
وكم إذا ماأرأوك يامالك المو ت لهم أنامل خصره
وكم لهم دعوة عليك وكم قذفة أمٍّ شنعاء مشتهره
كريمةٌ لؤمك استخف بها دنالها بالمثالب الاشره
سبحان من يمسك السماء على الار ض وفيها اخلاقك العذره

وكان قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الامر حتى غلبت عليه وذهبت به فلما اشتهر بها دعاها الا الاسلام ليتزوج بها فاجابته وكان اسمها ورداً ثم افترى ابو الطيب على هذه الجارية واذاع انها تهوى غلامًا لديك الجن واحتال عليه وأغراه بقتلها فقتلها وقال في ذلك:

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ والى ذاك الوصال وصلتُ
فالذي مني اشتملت عليه ألعار ما قد عليه اشتملت
قال ذو الجهل قد حلمت ولا أعلم أني حلمت حتى جهلت
لائم لي بجهله ولذا انا وحدي أحببت ثم قتلت
سوف آسى طول الحياة وابكيـ ـك على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال فيها ايضًا:

لك نفس مؤاتيه والمنايا معاديه
أيها القلب لاتعد لهوى البيض ثانيه
ليس برقٌ يكون أخـ ـلب من برق غانيه
خنت سرّي ولم أخنـ ـكِ فموتي علانيه

وقال ايضًا:

قل لمن كان وجهه كضياء الشـ ـمس في حسنه وبدرٍ منيرِ

كنت زين الأحياء إذ كنت فيهم ولقد صرت زين أهل القبور
بأبي انت في الحياة وفي المو — ت وتحت الثرى ويوم النشور
خنتني في المغيب والخون نكرٌ وذميمٌ في سالفات الدهور
فشفاني سيفي واسرع سيف حز — التراقي قطعاً وحز النحور

ثم لما بلغه الخبر على حقيقته وصحته ندم ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعمُ من الطعامِ الا ما يقيمُ رمقه وقال في ندمه على قتلها :

ياطلعةً طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتيّ من شفتيها
حكّمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى شيءٌ اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن أبكي اذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

لقد استنفدت هذه الواقعة شعره فنظم كثيراً من المراثي حتى صار من المعدودين في اجادة الرثاء قال صاحب العمدة : « ابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء ومثله ديك الجن وهو اشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد بها » .

وهو بعد شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين في شعره كما قال صاحب الاغاني ، ولقد كان في زمانه شاعر الشام الى ان ظهر ابو تمام فلم يذكر معه الا مجازا ، وديك الجن اقدم منه وقد كان ابو تمام أخذ عنه امثلةً من شعره يحتذي عليها فهو استاذه ، وقول صاحب الأغاني انه يذهب مذهب ابي تمام يحمل على اشتهار ابي تمام بذلك المذهب بعد ان غلا فيه . قال عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي : كنت جالساً عند ديك الجن فدخل عليه حدث فانشده شعراً فأخرج ديك الجن من تحت مصلاّه درجاً كبيراً فيه كثيراً من شعره فسلمه اليه وقال يافتى تكسب بهذا واستعن به على قولك فلما خرج سألته عنه فقال هذا من اهل جاسم يذكر انه من طيء يكنى ابا تمام واسمه حبيب ابن أوس وفيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع ، وعمر ديك الجن الى ان مات ابو تمام ورثاه .

قصر ديك الجن شعره على نفسه وهو الخليع المتهتك فتارة يصف الخمر و يقول :

بها غير معدول فداو خمارها وصل بجبالات الغبوق ابتكارَها
ونل من عظيم الوزر كل عظيمة إذا ذكرت خاف الحفيظان نارها
وقم انت فاحثث كأسها غير صاغر ولا تسق الا خمرها وعقارها
فقام تكاد الكأس تحرق كفه من الشمس اومن وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها فتأخذ من اقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فادارها (١)

وتارة يتغزل بعشيقته ورد فيقول :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزاماها و بهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لايحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثغرها

ولا ينسى ان يداعب غرانقاً من اهل حمص يقال له بكر بمقطوعات لانرى روايتها لما بها من المجون ، وانما نروي منها ثلاثة ابيات قالها فيه وقد جلسا يوماً يتحدثان الى ان غاب القمر :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدر اذا ما تجلى من محاسنك الفجر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل فطرفك لي سحر و ريقك لي خمر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى لصحت باعلى الصوت يابكر يابكر

(١) روي ان ابا نواس لما اجتاز بحمص قاصداً مصر سمع ديك الجن بوصوله فاستخفى منه خوفاً ان يظهر لابي نواس انه قاصر بالنسبة اليه ، فقصده ابو نواس في داره وهو بها فطرق الباب واستأذن عليه فقالت الجارية ليس هوهينا ، فعرف مقصده فقال لها قولي له اخرج فقد فتنت اهل العراق بقولك :

مورّدة من كفّ ظبي كأنما تناولها من خده فادارها

فلما سمع ديك الجن ذلك خرج اليه واجتمع به واضافه .

ومن ملحه في الخلاعة قوله :

لما نظرت اليَّ عن حدق المها ... وبسمت عن متفتح النوّار
وعقدت بين قضيب بانٍ اهيفٍ ... وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك طائعاً ... وعزمت فيك على دخول النار

هكذا كانت حياته فاذا اعسر واستنزفت الخمرة ماله رحل من حمص الى احمد وجعفر الهاشميين في سلمية يستعين بهما على دهره ثم يعود الى شنشنته في حمص . ولما قتل عشيقته رثاها بمراث تصرف بها احسن تصرف كقوله :

اشفقت ان يرد الزمان بغدره ... او أبتلى بعد الوصال بهجره
قمر انا استخرجته من دجنه ... لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وله عليَّ كرامة ... ملءُ الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ ... والحزن يسفح عبرتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره

وقوله : بأبي نبذتك بالعراء المقفرِ ... وسترت وجهك بالتراب الاعفر
بأبي بذلتك بعد صون للبلى ... ورجعت عنك صبرت أم لم أصبر
لو كنت اقدر أن أرى أثر البلى ... لتركت وجهك ضاحياً لم يقبر

وقوله : أما آن للطيف أن يأتيا ... وأن يطرق الوطن الدانيا
وإني لاحسب ريب الزما ... ـن يتركني جسداً باليًا
سأشكر ذلك لا ناسيًا ... جميل الصفاء ولا قاليًا
وقد كنت أشكره ضاحكاً ... فقد صرت أشكره باكيًا

وقوله : جاءت تزور فراشي بعدما قبرت ... فظلت ألثم نحراً زانه الجيدُ
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا ... فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة ... تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرةً ... هذي زيارة من في القبر ملحود

وهذا شعر علم الله يستعبر له السامع . وله قصيدة يرثي بها جعفر بن علي الهاشمي وهي جيدة منها قوله :

فيا قبره جد كل قبر بجوده ففيك سماء ثرّة وسحائبُ
فانك لو تدري بمافيك من علا علوت و باتت في ذراك الكواكب
أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائم حذاراً وتعمى مقلتي وهو غائب
فمات ولا صبري على الاجر واقف ولا أنا في عمر الى الله راغب
أأسعى لاحظى فيك بالاجر انه لسعيٌ اذن مني لدى الله خائب
وما الإثم الا الصبر عنك وانما عواقب حمدٍ ان تذم العواقب
يقولون مقدار على المرء واجب فقلت وإعوال على المرء واجب
هو القلب لما حمّ يوم ابن أمه وهي جانب منه وأسقم جانب
فوالله اخلاصاً من القول صادقاً والا فحبي آل احمد كاذب
لو ان دمي كانت شفاؤك اودمي؟ دم القلب حتى يقضب القلب قاضب
اسلمت تسليم الرضا وتخذتها يداً للردى ما حج لله راكب
فتى كان مثل السيف من حيث جئته لنائبةٍ نابتك فهو مضارب
بكاك أخ لم تحوه بقرابة بلى ان اخوان الصفاء اقارب
وأظلمت الدنيا التي كنت جارها كأنك للدنيا أخ ومناسب

فذق هذا الكلام من حيث شئت هل تجد فيه الا حلاوة ، وأعمل فكرك هل تجد الا معنى شريفاً ولفظاً شريفاً وحسن تصرف بهما .

هذه نبذة من شعره في الخمر والغزل والرثاء ولم نقف على شيء في المديح وانما روى له صاحب الاغاني قصيدة يعزّي بها جعفر بن علي سلك بها طريق الجاهليين منها :

نغفل والايام لا تغفل ولا لنا من زمنٍ موئلُ
والدهر لا يسلم من صرفه أعصم في القنة مستوعل
ولا حباب صلتان السرى أرقم لا يعرف ما تجهل
ولا عقنباة السلامى لها في كل أفق علق مهمل
فتخاء في الجو خدارية كالغيم والغيم لها مثقل

آمن من كان لصرف الردى أنزلها من جوها منزل

وهي كما ترى عبارة عن رأي بدوي جاف لايهتدي الى عزاء عن الفجائع الا ان الدهر لايسلم من صرفه الأعصم والأرقم والفتخاء وفي ذلك دليل على ان الشاعر يكبو فيما لايوافق هواه ، وأنى له — وهو الخليع الماجن — ان يقيم نفسه مقام من يعظ ويخفف المصايب ، لذلك فشعر ديك الجن فيما يوافق هواه جزل منسجم وصنعته اللفظية أخف على النفس من صنعة ابي تمّام لانها مع حسنها لاتجد للكلفة اثراً ظاهراً عليها فقد كان مقتصداً فيها ، وتشبيهاته واستعاراته حسنة سائغة كقوله :

لا ومكان الصليب في النحر منـ ـك ومجرى الزنار في الخصر
والخال في الخد اذ أشبهه وردة مسك على ثرى تبر
وحاجب مدّ خطه قلم الحسـ ـن بحبر البهاء لا الحبر
وأقحوان بفيك منتظم على شبيه من رائق الخمر

ومعانيه حسنة لاسيما ماكان في الرثاء فأكثرها شريف نادر .

البحتري

ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ينتسب الى بحتر بن عتود وهو بطن من طيئ والبحتري يفتخر بهذا النسب ويقول :

ذهبت طيئ بسابقة المجـ ـد على العالمين بأساً وجودا
نحن أبناء يعرب اعرب النا ـ س لسانا وأنضر الناس عودا

ولد بمنبج سنة ست ومائتين وبها نشأ وتخرج وتأدب ويدلُّ على ان بيته قديم في منبج قوله :

جدي الذي رفع الأذان بمنبج وأقام فيها قبلة الصلوات
وأبي ابو حيان قائد طيئ للروم تحت لواءه المنصات
وولي فتح الجسر اذ أغرى به عمروٌ وفاعل تلكم الفعلات

وأول شعر قاله في غلام اسمه شقران اذ اتفق للبحتري سفر فخرج فيه فأطال الغيبة ثم عاد وقد التحى شقران فقال :

نبتت لحية شقرا — ن شقيق الروح بعدي
حلقت كيف أتاه قبل ان ينجز وعدي

ولم ينبه ذكره الا بعد اتصاله بابي تمام الطائي وخروجه الى العراق حيث مدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء ، قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي : رأيت البحتري عندنا قبل ان يخرج الى العراق يجتاز بنا في الجامع يمدح اصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ٠

قال البحتري اول مارأيت ابا تمام اني دخلت على ابي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي :

أأفاق صب من هوى فأفيقا ام خان عهداً ام اطاع شفيقا

فسرّ بها ابو سعيد وقال احسنت والله يافتى واجدت ، قال وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمس ركبتُه ركبتَه ، فأقبل عليّ ثم قال يافتى اما تستحي مني هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتي ، فقال له ابو سعيد احقاً تقول ؟ ، قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزادفيه ، ثم اندفع وانشد اكثر هذه القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليّ ابو سعيد فقال يافتى قد كان في قرابتك منا وودك لنا مايغنيك عن هذا ، فجعلت احلف له بكل محرّجة من الايمان ان الشعر لي ما سبقني اليه احد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، واطرق ابوسعيد وقطع بي حتى تمنيت اني سخت في الارض فقمت منكسر البال اجرّ رجليّ فخرجت ، فما هو الا ان بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردوني ، فاقبل عليّ الرجل فقال : الشعر لك يابنيّ والله ماقلته قط ولا سمعته الا منك ولكني ظننت انك تهاونت موضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي وتكاثرني حتى عرّفني الامير نسبك وموضعك ولوددت ان لا تلد ابداً طائية الا مثلك ، وجعل ابو سعيد يضحك ودعاني ابو تمّام وضمني اليه وعانقني واقبل يقرظني ولزمته بعد ذلك واخذت عنه واقتديت به ٠

وروي عن البحتري انه قال : كان اوّل امري في الشعر ونباهتي اني صرت الى ابي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فاقبل عليّ وترك سائر من حضر فلما انفرقوا قال لي انت اشعر من انشدني ، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة ، فكتب الى اهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق بالشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظفوا لي اربعة آلاف درهم فكان اول مال اصبته . قال صاحب الاغاني وكانت نسخة كتابه : يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبيد الطائي وهو على بذاذته شاعر فاكرموه .

عظم مقام البحتري بعد ان رحل الى العراق وادناه المتوكل وقد رافقه في سفره الى دمشق قال في ذلك :

قد رحلنا عن العر — اق وعن قطبها النكدْ
حبذا العيش في دمشـ — ق اذا ليلها برد
سفرٌ جددت لنا اللـ — هو ايامه الجدد
عزم الله للخليـ — فة فيه على الرشد

واتصل ايضاً بالفتح بن خاقان وزير المتوكل ومدح بعد المتوكل جماعة من الخلفاء منهم المنتصر والمستعين والمهتدي والمعتز وكثيراً من الوزراء والرؤساء وفاض كسبه من الشعر حتى كان يركب في موكب من عبيده وفي نباهة ذكره يقول :

ان أبق او اهلك فقد نلت التي ملأت صدور اقاربي وعداتي
وغنيت ندمان الخلائف نابهاً ذكري وناعمةً بهم نشواتي
وشفعت في الامر الجليل اليهم بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رفد طلاّب وفك عناة

عاد الى الشام في آخر عمره وتوفي بمنبج بداء السكتة سنة اربع وثمانين ومائتين وترك ثروة طائلة ظلت في اولاده مدة طويلة وربما كانت من الاسباب التي جعلتهم من الرؤساء ، فمن احفاده ابو عبادة بن يحيى بن الوليد واخوه عبيد الله كانا رئيسين في زمانها ومدحها المتنبي ، وذكر ياقوت في معجم البلدان ان للبحتري في منبج املاكاً وذكر في المشترك ايضاً ان قرية على باب منبج ذات بساتين هي وقف على ولده .

كان البحتري يطمح لجمع المال ولا يرضى بالقعود على الفاقة وفي ذلك يقول :

ليس الزمان بمعتبي فذرني ارمي بجهم خطبه بجبيني
وخد القلاص يردني لك بالغنى في بعض ذا التطواف او يرديني
والرزق للبقظ المشيع رأيه بالعزم لا للعاجز المأفون

ويقول ايضاً واحب آفاق البلاد الى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

ومثله قوله : رأيت القعود على الاقتصاد قنوعاً به ذلة في العباد
وعز بذي ادب ان يضيق بعيشته وسع هذي البلاد
اذا ما الاديب ارتضى بالخمول فما الحظ في الادب المستفاد

وكان لا يقنع بالقليل من المال وفي ذلك يقول لاحد ممدوحيه :

لا تقلل اذا هممت بجدوى ان شر الاعداد عندي القليل

ولقد رأيت ان اول ما اشتكى الى ابي تمام الخلة وذلك دليل على كرهه للفقر وحبه للمال ، ولقد ساقه حب المال الى البخل بل الشح بكل شيء ولازمه هذا الخلق طول عمره بالرغم من غناه واثرائه ، وله في جمع المال والضن به نوادر غريبة ، منها انه كان له غلام رومي اسمه نسيم قد جعله بابا من ابواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد ان يصيره الى ملك بعض اهل المروآت ومن ينفق عنده الادب فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له كقوله من قصيدة :

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد اظن نسيماً قارف الهم من بعدي
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه فيا عجباً للدهر فقد على فقد

فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفي الناس امره .

ومما يروى عنه في البخل أنه كان له اخ وغلام معه في داره فكان يضنيهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع اتياه يبكيان فيرمي اليهما بثمن اقواتهما ويقول : كلا اجاع الله اكبادكما واعرى اجلادكما وأطال اجتهادكما .

وقال أحدهم : دخلت على البحتري يوماً فاحتبسني عنده ودعا بطعام له ودعاني فامتنعت من أكله وكان عنده شيخ شامي لا اعرفه فدعاه الى الطعام فتقدم وأكل بعنف فغاظه ذلك ، ثم إنه التفت اليّ وقال لي اتعرف هذا الشيخ قلت لا قال هذا

الشيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهجيم قبيلة ملعونة ... حصّ اللحى متشابهو الالوان

لويسمعون بأكلة او شربة ... بعمان اصبح جمعهم بعمان

قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ولم يسلم البحتري من مجاراة ميوله وأهوائه شأن اكثر الشعراء فقد كان يعاقر الخمرة ويميل الى الدعابة وتميل به الصبوة .

روي انه استهدى محمد بن علي القمي نبيذاً فبعث اليه نبيذاً مع غلام له امرد فجمشه البحتري فغضب الغلام غضباً شديداً دلّ البحتري على انه سيخبر مولاه بما جرى فكتب اليه :

ابا جعفر كان تجميشنا ... غلامك إحدى الهنات الدنية

بعثت الينا بشمس المدام ... تضيء لنا مع شمس البرية

فليت الهدية كان الرسول ... وليت الرسول الينا الهدية

فبعث اليه محمد بن علي الغلام هدية .

ولقد احب علوة بنت زرعة الحلبية واكثر من التشبيب بها

كقوله : هل دين علوة يستطاع فيقتضى ... او ظلم علوة يستفيق فيقصر

وقوله : عرّج على حلب محلةً ... مأنوسة فيها لعلوة منزلُ

وقوله : تناءت دار علوة بعد قرب ... فهل ركبٌ يبلغها السلاما

وقوله : وما انس لا انس عهد الشبا ... ب وعلوة اذ عيرتني الكبر

وقوله : عهدٌ لعلوة باللوى قد اشكلا ... ما كان احسن مبتداه واجملا

وقوله : أرى خلقاً حبي لعلوة دائماً ... اذا لم يدم بالعاشقين التخلقُ

وقوله : فاقلاّ في علوة اللوم إني ... زائد في الغرام ان لم تقلا

وقوله : أحبب الينا بدار علوة من ... بطياس والمشرفات من اكمه

وقوله : اتخشى زيال علوة اوهجـ ... ـرانها والمحب خاش جنانه

وقوله : لعلوة في هذا الفؤاد محلة ... تجانفتُ عن سعدى بها وسعاد

وقوله : طيف لعلوة ما ينفك يأتيني يصبو إليَّ على بعد و يصبيني
وقوله : وقد وردت اهواؤهن فؤاده ولا حبَّ الا حب علوة فارطه

وكان في اخلاقه الحنين الى وطنه والمحافظة على وداد احبابه فقد اكثر من ذكر ربوع صباه وصبوته والتشوق اليها ٠

كقوله : وقد حاولت ان تخد المطايا الى حيٍّ على حلب حلول

وقوله :

كم نظرة لي حيال الشام لو وصلت روت غليل فؤاد منك ملتاح

وقوله : حنت ركابي بالعراق وشاقها في ناجر برد الشآم وريفه

وقوله : ولي بين القصور الى قويق أليف أصطفيه و يصطفيني

وقوله :

أشيم سحاب الغرب هل ركن دوشن او المنكفا من بانقوسا مهابطه

وقوله :

يابرق اسفر عن قويق فطرتي حلب فاعلى القصر من بطياس

وقوله : ياليلتي بالقصر من بطياس ومعرّسي بالقصر بل اعراسي

وقوله : شاقني بالعراق برقٌ كليلُ ودعاني للشام شوقٌ دخيلُ

وقوله :

واشترائي العراق خطة غبن بعد بيعي الشآم بيعة وكس

كما اكثر من ذكر المتوكل والفتح بن خاقان والتوجع عليهما بعد قتلهما ولم يمنعه من ذلك صولة الخليفة المنتصر الذي كان له يد في قتلهما ٠

قال يرثي المتوكل و يعرّض بابنه المنتصر الذي قتله :

حرام عليَّ الراح بعدك او أرى دماً بدم يجري على الارض مائره

وهل أرتجي ان يطلب الدم واترٌ يدَ الدهر والموتور بالدم واتره

أكان وليُّ العهد أضمر غدره فمن عجب ان وُليَ العهد غادره

وكان يقول : من تمام الوفاء ان تفضل المراثي المدائح ٠

ومن غريب ما يروى عنه انه كان من اوسخ خلق الله ثوباً وآلةً ، ومن اقبح

الناس إنشاداً يتشادق و يتزاور في مشيته مرة جانباً ومرة القهقرى و يهز رأسه مرة ومنكبه أخرى و يشير بكمه و يقف عند كل بيت و يقول : احسنت والله ثم يقبل على المستمعين و يقول مالكم لا تقولون احسنت ، هذا والله مما لا يحسن احد ان يقول مثله ٠

وديوان شعره جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على حروف المعجم وكان لعهده لم يزل غير مرتب ، وجمعه ايضاً علي بن حمزه الاصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الانواع وقد شرح ديوانه ابو العلاء المعري وسماه عبث الوليد ، وشرحه ايضاً محمد بن اسحق الزوزني المتوفى سنة (٤٦٣) قال ياقوت الرومي : انه شرح مليء علما وحشى فهما ، ولعلي بن حمزة البيهقي المتوفى سنة (٥٦٥) شرح شعر البحتري وابي تمام ، وللحسن بن بشر الآمدي كتاب معاني شعر البحتري ٠

وللبحتري غير ديوان شعره كتاب سماه الحماسة على مثال حماسة ابي تمام الطائي وهو كتاب جليل جمع فيه طائفة كبيرة مما اختاره من الشعر ورتبه ترتيباً حسناً ، وله ايضاً كتاب معاني الشعر ٠

ومن الكتب التي أُلفت في البحتري : كتاب الموازنة بينه و بين ابي تمام الطائي للآمدي ، وكتاب سرقات البحتري من ابي تمام لاحمد بن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) ، وكتاب سرقات البحتري من ابي تمام لبشر بن يحيي النصيبي ٠

هذا ما أردنا روايته من اخبار البحتري وآثاره وقد آن لنا بعد ذلك ان نتكلم عن شعره ٠

٭٭٭

لا اعلم اذا كان في شعراء العرب من هو اطبع على قول الشعر من البحتري ، فهو الشاعر حقاً بحسه وخوالجه ووجداناته واسلوبه والفاظه وتراكيبه وقوافيه ، سئل ابو العلاء المعري : من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المتنبي ؟ فقال : ابو تمام والمتنبي حكيمان ، وانما الشاعر البحتري ، و يروى هذا القول عن المتنبي نفسه ٠

لا ندّعي ان له صنعة ابي تمام ولا معاني ابن الرومي ولا امثال المتنبي ولا تشبيهات ابن المعتز ولا فلسفة المعري ، كلا بل هو نفسه لا يدّعي ذلك بعد ان قال :

كلفتمونا حدود منطقكم   في الشعر يلغي عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج بالمـ ـــ نطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليست بالهذر طولت خطبه

فانظر كيف يرى ان الشعر لمح للاشياء ببصر نافذ ، واشارة عنها ببيان بالغ ، لاتقديم المقدمات ، واستنتاج النتائج ، وتأصيل الاصول ، وتفريع الفروع ، فقد يكون الشاعر شاعراً وهو غير حكيم او فيلسوف .

يقولون ان البحتري لم يأت بمعان مخترعة ولا بأساليب مبتكرة ، وكأن الشعر لايكون الا بذلك ، ولقد جلّ خطبه ان لم يكن الا كذلك ، معان مخترعة وأساليب مبتكرة ، امعن ايها الشاعر بها ولو اتيت بما لايتصوره انسان ولا تفهمه عنك الجان .

ليس البحتري في شيء من هذا وانما ينظر الى الاشياء نظر الشاعر و يتأثر بها تأثر الشاعر ثم يترجم عنها ترجمة الشاعر ولا يحمل نفسه على ابراز معانيه كألاعيب الصبيان الممسوخة المموّهة بشتى الالوان من بعد في الاستعارة واغراب في التشبيه واغراق في البديع واحالة في المعنى كي يقال معان مخترعة واساليب مبتكرة .

ان كان الشعر بنفوذ النظر وقوة الملاحظة وتوقد الفكرة وصدق الحس وروعة البيان فالبحتري هو الشاعر حقاً .

خذ اي قصيدة شئت من قصائده في الوصف وانظر كيف يصور لك المشاهد صورة ناطقة ، يصور لك الماء ويسمعك خريره ، والطير ويسمعك هديله ، والشجر ويريك تمايل اغصانه ، والقصور بما فيها من مرأى ومسمع ، والاطلال وعزيف الارواح بها ، وموكب الخليفة وما به من حركة وسكون وروعة وجلالة ، واذا اتى على وصف الطيف وكثيراً ماياتي مثّل لك حلو الاحلام واحاسن المنى بالفاظ عذبة رشيقة .

وماذا عساني ان آتي بدليـل على ما اقول وديوان شعره اشهر من ان ينوه به او يدل عليه ، فاقرأ اذا شئت قصائده في وصف ايوان كسرى ، والبركة وخروج المتوكل يوم عيد الفطر ، ووصف قصور الخلفاء كالجعفري والفرد والصبيح والمليح والكامل ، ووصف الاسد والذئب والفرس .

قال ابن المعتز : لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى — فليس للعرب سينية مثلها — وقصيدته في وصف البركة ، لكان اشعر الناس في زمانه .

واليك بعض ابيات من تلك القصيدة في الايوان :

وهو ينبيك عن عجائب قوم لايشاب البيان فيهم بلبس
فاذا مارأيت صورة انطا ــ كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وانوشر ــ وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اص ــ فر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جدُّ احيا ــ ء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقرّاهمُ يداي بلمس

ومنها :

عكست حظه الليالي وبات الـ ــ مشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي
لم يعبه ان بزّ من بسط الديـ ــباج واستل من ستور الدمقس
مشمخرٌ تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبـ ــصر منها الا فلائل برس
ليس يدري اصنع إنس لجنٍ سكنوه أم صنع جن لانس
غير اني اراه يشهد ان لم يك بانيه في الملوك بنكس
فكأنني ارى المراتب والقو ــ م اذا ما بلغت آخر حسي
وكأن الوفود ضاحين حسري من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأن القيان وسط المقاصيـ ــر يرجعن بين حوّ ولعس
وكأن اللقاء اول من امـ ــس ووشك الفراق اول امس
عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزي رباعهم والتأسي
فلها ان أعينها بدموع موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جنسي

وقال يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى اوائل ورد كن بالامس نوّما
يفتقها برد الندى فكأنه يبث حديثاً كان قبل مكتما
ومن شجر كان الربيع لباسه عليه كما نشرت وشياً منمنما
احلّ فابدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجيء بانفاس الاحبة نعّما
فما يحبس الراح التي انت خلها وما يمنع الاوتار ان تترنما

أما نسيبه فنسيب عاشق غزل يعرف كيف يبعث الرحمة والعطف في قلب حبيبه حينما يصف ما يكابده من التشوق بطريقة تشجي السامع وتثير به نشوة الطرب وتترجم عن قلب كل محب كقوله :

عذيري فيك من لاح اذا ما شكوت الحب حرقني ملاما
فلا وأبيك ما ضيعت حلماً ولا قارفت في حبيك ذاما
ألام على هواك وليس عدلاً اذا أحببت مثلك ان ألاما
لقد حرّمت من وصلي حلالاً وقد حللت من هجري حراما
أعيدي في نظرة مستثيب توخى الاجر او كره الاثاما
تري كبداً محرقة وعينا مؤرقة وقلباً مستهاما
نأت دار علوة بعد قرب فهل ركب يبلغها السلاما
وجدد طيفها عتباً علينا فما يعتادنا الا لماما
ورب ليلة قد بت أسقى بعينيها وكفيها المداما
قطعنا الليل لثماً واعتناقاً وافنيناه ضماً والتزاما
وقد علمت باني لم اضيع لها عهداً ولم اخفر ذماما
لئن اضحت محلتنا عراقاً مشرقة وحلتها شاما
فلم أحدث لها الا وداداً ولم ازدد بها إلا غراما

وقوله :

أُعيذك ان تُمنيّ بشكوى صبابةٍ وإنا اكسبتنا منك عطفاً على الصبِّ
ويحزنني ان تعرفي الحب بالجوى ولو نفعتنا منك معرفة الحب

وله في ذكر الطيف الجيد البارع كقوله :

يعزُّ على الواشين — لو يعلمونها — ليالٍ لنا نزدار فيها ونلتقي
فكم غلةٍ للشوق اطفأت حرها بطيفٍ متى يطرق دجى الليل يطرق
اضمُّ عليه جفن عيني تعلقاً به عند اجلاء النعاس المرنق

وقوله :

اذا ما الكرى اهدى اليَّ خياله شفى قربه التبريح او نقع الصدى
إذا انتزعته من يديَّ انتباهةٌ عددت حبيباً راح مني او غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نُعذّب ايقاظاً وننعم هُجَّدا

ومن شعره الجيد البالغ قوله :

وفرسان هيجاء تجيش صدورها باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر اعز نفوسها عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينهم شواجر ارحام ملوم قطوعها

وله من السهل المطمع كثير كقوله :

أيها العاتب الذي ليس يرضى نم هنيئاً فلست اطعم غمضا
ان لي من هواك وجداً قد استهـ ـلك نومي ومضجعاً قد اقضا
فجفوني في عبرة ليس ترقا وفؤادي في لوعة ما تقضى
ياقليل الإنصاف كم أقتضي عنـ ـدك وعداً انجازه ليس يقضى
فاجزني بالوصل ان كان اجراً واثبني بالحب ان كان قرضا
بأبي شادنٌ تعلق قلبي بجفون فواتر اللحظ مرضى
غرني حبه فاصبحت أبدي منه بعضاً واكتم الناس بعضا
لست انساه بادياً من قريبٍ يتثني تثني الغصن غضا

واعتذاري اليه حتى تجافى لي عن بعض ما اتيت واغضى

واعتلاقي تفاح خديه تقبيـ ـلاً ولثماً طوراً وشماً وعضا

وطريقته في شعره طريقة المطبوعين لايعني كثيراً بالابتداآت ولا يلتفت الى التخلص . فقد ترى في قصائده مطلعاً غير بالغ في الجودة اتى به عفواً وكلما تماديت في قراءة القصيدة وجدت الكلام يجود ، وبينا تراه ينسب بعلوة اذا هو يثب الى الغرض الذي قصد له القصيدة من مدح او وصف او فخر وثباً واقتضاباً كقوله :

اني وان جانبت بعض بطالتي وتوهم الواشون اني مقصر

ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الاحمر

الله مكّن للخليفة جعفر ملكاً يحسنه الخليفة جعفر

وكذلك اكثر شعره وقلما تجد به ما يسمونه التخلص .

وأسلوبه عربي خالص على تنوع الاغراض التي قصدها في شعره ، والفاظه متزاوجة : الكلمة واختها مع الجزالة والعذوبة كقوله :

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت فينعم رياها ويصفو نسيمها

وقوله : ضاق صدري بما أجـ ـن وقلبي بما اجد

وقوله : لقد اصطفى رب السما ء له الخلائق والشيم

وهو مع طبعه الفائق تجد في شعره رائحة الصنعة التي أخذها عن ابي تمام كقوله وفيه التجنيس :

صدق الغراب لقد رأيت حمولهم بالأمس تغرب عن جوانب غُرّب

وقوله وفيه المطابقة :

ان ايامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارق السود سودا

وقوله وفيه التوشيح :

فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام

وقوله وفيه المؤتلف والمختلف :

بحلمٍ وعقدٍ وجزمٍ وفصلٍ ونبلٍ وبذلٍ وبأسٍ وجودِ

الى غير ذلك من الانواع .

وكان يلقي من كل قصيدة جميع مايرتات به نخرج شعره مهذباً ، قال عبد القاهر الجرجاني : « انك لاتكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب ورد البعيد الغريب الى المألوف القريب ، مايعطي البحتري ويبلغ في هذا مبلغه ، فانه ليروض لك المهر الأرن رياضة الماهر حتى يعنق من تحتك اعنـاق القارح المذلل ، وينزع من شماس الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد المطيع » .

واذا أردت ان تعلم مبلغ شاعرية البحتري فاعمد الى نثر شعره تجد انك لاتحتاج الى التقديم والتأخير والنقص والزيادة كقوله :

نطلب الاكثر في الدنيا وقد ... نبلغ الحاجة فيها بالاقل

وقوله : اطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها ... فما الغافل المغرور فيها بعاقل

يرجي الخلود معشر ضل سعيهم ... ودون الذي يبغون غول الغوائل

اذا ما حريز القوم بات وماله ... من الله واق فهو بادي المقاتل

فاذا ما نثرت ذلك لم تزد في الفاظه شيئاً .

وهو مع حسن تصرفه في ضروب الشعر كان مقصراً في الهجاء ، وذكروا ان السبب في قلة بضاعته في هذا الفن انه لما حضره الموت دعا بابنه ابي الغوث وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء ففعل فأمره باحراقه ثم قال له : يابني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحاً فعل بي وقد انقضى اربي في ذلك وان بقي روي وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة واخشى ان يعود عليك من هذا شيء في نفسك او معاشك لافائدة لك ولا لي فيه .

وقد بقي من هجائه قصائد وأبيات لاتشاكل طبعه ولا تليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة الفاظها كما قال صاحب الاغاني ، وما يعرف له هجاء جيـد إلا قصيدتين احداهما في ابن ابي قماش والثانية في يعقوب بن ابي الفرج .

وممن أغري بهجاء البحتري ابن الرومي فقد قال فيه :

والفتى البحتري يسرق ماقا ... ل ابن أوس في المدح والتشبيب

كل بيت له يجود معناه ... فمعناه لابن أوس حبيب

وقال ايضاً :

قبحاً لاشياء يأتي البحتري بها ... من شعره الغث بعد الكد والتعب

وقد يجيء بخلط فالنحاس له والاوائل مافيه من الذهب
ما ان تزال تراه لابساً حللاً اسلاب قوم مضوا في سالف الحقب
يعيب شعري وما زالت بصيرته عمياء عن كل نور ساطع اللهب
الحظ اعمى ولولا ذاك لم تره للبحتري بلا عقل ولا حسب

قال صاحب العمدة : وهجا ابن الرومي البحتري — وابن الرومي من علمت — فاهدى اليه تخت متاع وكيس دراهم وكتب اليه ابريه ان الهدية ليست تقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا الفقر والحسد المفرط :

شاعر لا اهابه نبحتني كلابه
ان من لا أعزه لعزيز جوابه

وهجاه ابو العنبس الصيمري بحضرة المتوكل بقصيدة بذيئة الالفاظ سخيفة عارض بها قصيدة البحتري التي يمدح بها المتوكل والتي اولها :

عن اي ثغر تبتسم وباي طرف تحتكم

فغضب البحتري وخرج وقال لبعض اصحابه قد ضاع العلم وهلك الأدب ، واراد ان يعود الى منبج بغير اذن لولا ان استبقاه الفتح بن خاقان ، ولكنه لم يجب ابا العنبس الصيمري اطراحاً واحتقاراً له .

* * *

اما اخذه بعض معاني ابي تمام فذلك ما لا يمكن دفعه ولولاه لما نعي عليه في شعره عيب واعتذر عنه الآمدي بقوله : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين اذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » .

واستقصاء ما اخذه من ابي تمام لا يمكن في هذا البحث فلنذكر قليلاً منه :

قال ابو تمام :

تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحتري :

ولو ان مشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لمشى اليك المنبر

وقال ابو تمام :

مازال وسواسي لعقلي خادعًا حتى رجا مطراً وليس سحابُ

فقال البحتري :

وعجيبٌ ان الغيوم يرجيـ ـين من لايرى مكان الغيوم

وقال ابو تمّام :

وقد تألف العين الدجى وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قاتلُ

فقال البحتري :

ويحسن دلّها والموت فيه وقد يستحسن السيف الصقيلُ

ومثل هذا كثير ومها التمس اصحاب البحتري المعاذير له من ذلك كقولهم : « ان ما أخذه من ابي تمّام يشترك الناس فيه وتجري طباع الشعراء عليه ولم يعتمد اخذه وانما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده » فانه غير بريء من هذه الزلة ، وهي وان عمّت بها البلوى بين الشعراء قديمهم وحديثهم فنصيب البحتري منها اكثر وسهمه اوفر . هذا المتنبي على جلالة قدره لم تكتب له العصمة منها فانه استعار معاني كثير من الشعراء واليك بعض ماعدا به على سرح شعر البحتري :

قال المتنبي : في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرون بالآذان

أخذه من قول البحتري :

ومقدم الأذنين يحسب انه بهما رأى الشخص الذي لا يأمن

وقال المتنبي : حتى رجعت واقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به فانما نحن للاسياف كالخدم

اخذه من قول البحتري :

تعنو له وزراء الملك خاضعة وعادة السيف ان يستخدم القلما

وقال المتنبي :

وما شئت الا ان ادل عواذلي على ان رأيي في هواك صواب

واعلم قوماً خالفوني وشرقوا وغرّبت اني قد ظفرت وخابوا

اخذه من قول البحتري :

واشهد اني في اختيارك دونهم   مؤدٍّ الى حظي ومتبعٌ رشدي

* * *

وقد بقي ان نعرض للمفاضلة بين ابي تمام و بين البحتري وخلاصة مايحتج به اصحاب ابي تمام : انه انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اماماً متبوعاً حتى قيل هذا مذهب ابي تمام ، وانه كان مشهوداً له بالعلم والشعر والرواية وان العلم في شعره اظهر ، وانه اتى في شعره بمعانٍ فلسفية ، وان احسانه انتشر في الآفاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتأدب بحفظه وانشاده المتأدب ، وانه لايدفع عن لطيف المعاني ودقيقها والابداع والاغراب والاستنباط لها ، وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة .

وخلاصة مايحتج به اصحاب البحتري : ان شعره شديد الاستواء وانه لا يسقط ولا يسفسف ، وانه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع مافي شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة التي يفخر بها اصحاب ابي تمام ، وانه انفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعاني ، وكان يتعمد حذف الغريب والوحشي من شعره ليقرب من الفهم الا ان يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ، وان معانيه مع جودة نظمه واستواء نسجه تصح بالنقد وتخلص على السبك ، وان ما اخذه من معاني ابي تمام هي معانٍ مشتركة لايختص بها شاعر دون آخر ، والبارع من معانيه والفاخر من كلامه ليس فيه على كثرته حرف واحد مما اخذه من ابي تمام .

وخلاصة القول انك ان كنت ممن يميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لامحالة .

وان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق وقرب المآتي وانكشاف المعاني فالبحتري اشعر عندك ضرورة .

والذي نراه انهما مختلفان لامتساويان ، شعر ابي تمّام مصنوع وشعر البحتري مطبوع ، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين من يجيد الضرب على العود وبين من خلقه الله حسن الصوت ، ولقد انتهت الرئاسة اليهما ، وهما هما ، سقى الله عهدهما .

خليل مردم بك

العرب واخبارها في التاريخ

أ . الدكتور هرتسفلد

مامن احد اراد التوسع في الابحاث العربية في عهدنا هذا ، الا وقرأ ما للعلامة هرتسفلد من المقالات الرائقة البديعة . والرجل من اوسع الناس معرفة لتاريخ العرب في القديم والحديث ، وله مؤلفات عديدة تشهد له بطول الباع ، ومقالات في اشهر المجلات الاوربية تقر له بالتبحر في مسائل العرب .

وقد هبط العراق وديار الكرد وفارس وسائر ربوع المشرق على اختلاف مواقعها مراراً عديدة . ومن جملة زياراته العراق انه قدم هنا في سنة ١٩٢٣ ثم رحل منه الى ارجاء ايران في سنة ١٩٢٤ وهو لم ينقطع من مكاتبتي واطلاعي على بعض مايتوفق للفوز به من آثار العرب الى يوم كتابة هذه السطور .

وكنت اود ان اشارك قراء المجمع اللغوي بما يطرفني به ، الا اني لم ارد ان آتي امراً بغير رضاه ، وفي هذه الايام اباح لي نشر ما كنت اعلل النفس به ، ولهذا أعرب [١] من رسائله مايوافق القراء فأقول :

---

(١) الف السيد اسعد خليل داغر كتاباً سماه « تذكرة الكاتب » ضمنه التنبيه على اهم الغلطات اللغوية الدائرة في السنة الخطباء واقلام الكتاب في هذه الايام ، وقد بلغ عدد تغليطاته ٤٣٦ على ما احصاه عداً بالارقام ، اما الحقيقة فهي انه بلغ الخمسمائة او اكثر بقليل ، وهو لم يصب على ماظهر لي الا في نحو خمسين ، وهو في مابقي من تلك الاغلاط مخطئ غير مصيب . ومن جملة ماخطأ به الكتاب انه قال : (ص ٢٩) يستعملون الفعل عرب وما يشتق منه مكان الفعل ترجم ومشتقاته ، فيقولون هذا الكتاب عربه فلان ، او تعريب فلان او المعرب به فلان فيغيرون معنى الفعل ويحولون وجه استعماله لان التعريب انما هو نقل الكلمة بلفظها من احدى اللغات الاجنبية الى اللغة العربية . اما نقل معنى الكلمة او الجملة او المقالة او الكتاب فهو ترجمة اهـ .

قلنا : الذي ورد في دواوين اللغة ولا سيما في تاج العروس في مادة ع ر ب : التعريب في الكلام : هو النقل من لسان الى لسان ، فالمعرب والمعرب منه هو المنقول

٢ً خلاصة رسائل الاستاذ هرتسفلد

قال في رسالة كتبها في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٢٣ : وجدت في (نقش بستان [1]) الرواية الارمية لرقيم قبر الملك (دارا) ، ورقيماً آخر يوناني العبارة لشابور (او سابور) وثمانية رُقُم فهلوية وفي (إصطخر [2]) اخذت رسم المدينة كلها فضلاً عن السطح العظيم الذي يعلو المدينة مع جميع ابنيته ، ووجدت ثم رقيماً طويلاً بثلاث لغات للملك [3] دارا واشياء آخر لاتحصى ، منها : رسم [4] ازدشير الاول ونحو خمسين رقيماً بالكوفية يرتقي عهدها الى المائة الثانية والرابعة للهجرة ، وعدد عديد من الرقم خطها نسخي وعهدها القرن الثاني للهجرة وهي عظيمة الخطورة ، ورقيم بالسريانية ورُقُم عديدة بالعبرية الى غيرها .

والمنقول منه ١٠ ﻫ . وهذا وحده كافٍ لدحض الكاتب المخطئ . ومع ذلك فاننا نذكر له بعض نصوص تظاهر له صحة استعمال عرَّب بمعنى نقل الكلام الاعجمي الى العربية . قال السيد المرتضى في مجسط : المجسطي بفتح الميم والجيم ... وضعه بطليموس الحكيم وعرِّب في زمن المأمون .

وكذا جاء في كشف الظنون في مادة المجسطي . قال : وعربه حنين بن اسحق .. وكان المأمون مغرماً بتعريبه ... الى آخر ماذكره هناك . وقد ذكر كلمة (عرَّب) مراراً عديدة لا اقل من خمس . وكذا ذكره كل من تكلم عن نقله الى العربية .

واما كلمة « الترجمة » التي يشير الكاتب الى اتخاذها فليست عربية بل ارمية ، فكيف يريد ان يخرجنا من الفصيح الى الدخيل . والعرب قالت في معنى الترجمة ماعدا التعريب : النقل والاستخراج . على اننا لانرذل كلمة الترجمة بما ان العرب استعملوها في كتبهم ، انما اذا خيرنا بين الالفاظ نفضل عليها : التعريب ونردفها بالنقل والاستخراج ونكسعها كلها بالترجمة ، لما يشم منها رائحة العجمة .

(١) المراد بنقش بستان طائفة من الابنية القديمة واقعة بين مدينة (فسا) و (إصطخر) . (٢) اصطخر واسمها عندالافرنج فرسبوليس (FersèPolis) هي من اجل مدن فارس واشهرها وبها كان مسكن ملوك فارس حتى تحوّل اردشير الى (جور)

وكتب الي بتاريخ ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٣ من اصفهان ماهذا معربه :

« اذن لي بعضهم في مدينة (جهل ستون) أن انسخ عهداً من ايام الشيخ صفي ويزعم اصحابه انه (العهد) الاصلي او الاب الذي كتبه علي بن ابي طالب لنصارى ذي الكفل [1] . واذن لي آخرون ان اصور تصويراً شمسياً قرآنين : احدهما من المائة الثانية ، والآخر من المائة الثالثة من الهجرة ، ويظن اصحابها ان الاول خطه زين العابدين ، والثاني حسن العسكري » .

ومن رسالة له الي في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٤ من شيراز :

« قضيت معظم الشتاء (من سنة ١٩٢٤) في شيراز وقدعقدت النية على الذهاب الى (اصطخر) لاعارض فيها نصوصاً وردت منقوشة على بعض جدرانها واريد ان أثبتها .

وقد ورد في رقيم نهكلي [2] ذكر مشاهير بعض العرب مراراً عديدة . واول اكتشاف وفقت له عند زيارتي الاخيرة هو انه كان رجلان من العرب يعرفان باسم عمرو ، اسم الاول عمرو اللخمي (وبالفهلوية : لخميجان) (بالجيم الفارسية المثلثة وهي

---

(٣) هو المعروف عند ابناء الغرب باسم داريوس (٤) هو ازدشير عند بعض مصحفي الكتب ومفسديها . والصواب ان اردشير بالراء المهملة بعد الهمزة لابالزاي الذي هو غلط قبيح يجب العدول عنه ، وكان مصحفيه عرفوا الازد فرأوا في اردشير اسماً مركباً من الازد ومن الشير اي أسد الازد . وهو تخيل لانصيب له من الحقيقة .

(١) ذو الكفل : قرية هي اليوم خاملة الذكر فيها مزار النبي حزقيال المعروف بذي الكفل عند العرب : وهذه القرية غير بعيدة عن الحلة وليس فيها الآن من السكان سوى جماعات من اليهود ، وبعض المسلمين ، وليس فيها نصراني واحد في هذا العهد .

(٢) هذا الرقيم حفر في الصخر في سنة ٢٩٣ للميلاد . وقد نشره العلامة هرتسفلد في كتاب ضخم مع شروح طويلة ، مما يدل على طول باعه في قراءة اللغة الفهلوية والوقوف على اسرارها وهو امر لم يسبقه اليه احد .

في اللغة الفهلوية كيآء النسبة عند العرب ، والآخر عمرو الا بجري" . فاللخمي لايجهله احد ، والآخر من صلب الا باجرة من غير شك ، من اولئك الاباجرة الذين حكموا على اذاسّا (هي الرُّها وتعرف اليوم بأرفا) .

وهناك ذكر لشَيخان العرب (بفتح الشين واسكان الياء المثناة التحتية) والجَرْميقان (بفتح الجيم واسكان الرآء وكسر الميم واسكان المثناة التحتية يليها قاف والف ونون) وقد ورد اسمهم بصورة (جَرْمقيجان) (بفتح الجيم واسكان الراء وفتح الميم وكسر القاف يليها ياء مثناة تحتية بعدها جيم مثلثة فارسية مفتوحة فالف فنون) .

وبين يدي خاتم كان لدَرْ امارْكار (من رتب الحكام في عهد الساسانيين) بيت اردشير والجرامقة اي لارض الموصل والزابين ثم درست ، بل قل : اخذت ادرس هنا رسالة غريبة بالفهلوية اسمها : « شهرهآء ايران » ، فيها اشارات الى حكم الحيرة والى عدة مواضع للطائيكان « اي للطائيين » واظن ان مجمل ماعثرت عليه ينير صفحات عديدة من تاريخ العرب الاقدمين ، تلك الصفحات التي تغشيها طبقات من الظلمات الا ان جلّ مكتشفاتي تتعلق بالفرس ... »

وكتب الي بتاريخ ٦ ايار سنة ١٩٢٤ ! « ذهبت من (كازرون) الى (شابورنور آباد) وارض (مَمَسَّيْني) (اي محمّد حُسَيْني) فوجدت في شابور وهي المعروفة في القديم باسم (به شابور) رقماً عديدة محفورة ، ومن جملتها نقش يمثل بهرام الثاني ممتطياً جواداً وهو يقبل الاتاوة من اناس اجناب وهم يقدمون اليه جوادين مسرجين وجملين . اما ملبوسهم فدراعة طويلة ضافية فضفاضة ، وعلى رؤوسهم كوفيــة وعلى الكوفية عقال .

والذي يحملني على الظن انهم ليسوا عرباً ان رؤوسهم وملامحهم ليست برؤوس العرب ولا بملامحهم ، بل وليس فيهم مايذكرنا بهم ، انما يشبهون اناساً من قلب آسية . وبهرام الثاني فتح دولة سكستان .

افهذا الحجر يمثل هذه الفتوحات او فتوحات أخرى في بلاد العرب نجهلها الى الآن ؟ .

ومن (نور آباد) ذهبت الى (تَمْلِيَان) فوجدت فيها مدينة كبيرة من عهد الكيانيين مساحتها ميل انكليزي مربع ، مبثوثة فيها قواعد عمد محفورة ملقاة على وجه

الارض · وعثرت على نقش محفور كان غير بعيد من تلك العمد من عهد الشمريين[١] العهيد ، وهو في رايي اقدم اثر في فارس · والناظر اليه — وهو في حالة حسنة من الحفظ — يخاله معبوداً جالساً على العرش وبيده اليمنى إناء ماء الحياة وانهار المياه تخرج مندفقة من الاناء ذاهبة الى عدد جمّ من السجد ، ووراء المعبود المعبودة واكليهما قرون قرون ثور ·

ومثل هذا يرى على اقدم خواتم شمر · ووجدت في (فُلَمَسْفِيد) آجراً، عليه كتابة مسمارية بعيدة في القدم ، ووجدت في موضع آخر قبراً كبيراً بديعاً على مثال القبور الملكية التي تشاهد في (نقش رستم[٢]) ولعل الاولى اقدم من هذه الاضرحة

وكل هذه الاثار مجهولة الى عهدنا هذا ، بل والعلماء لم يعرفوا اسماء مواضع وجودها ·

واكتشفت في جزيرة خارك[٣] وهذا اغرب ما اعثرت عليه اذ لم يكن من المنتظر · ان اقع على مثله في تلك الجزيرة — على ستين دياساً ، وفي دياسين منها اشكال وهيئات في ر يازتها تصعدنا الى العهد المعاصر لدياميس تدمر ··· الخ وفي دياسين آخرين نقوش وتصاديرسريانية (ولعلها فهلوية ، اذ لم يتسن لي تحقيقها لما هناك من الظلمة الحالكة) ووجدت دياميس اخرى مسيحية صرفة ، وقد عددت في اثنى عشر دياساً او اكثر رسوم صلبان وهي من عهد المائة الثالثة ·

(١) الشمريون منسوبون الى شمر وزان زفر ، وشمر اسم بقعة كانت في جنوبي العراق ، وكان لهم فيها عدة مدن ، منها ارخ (وهي وركاء الحالية) وأور (وهي المُقَيَّر) ولرسا (وهي سنكرة) واريدو (وهي ابو شهرين) وسرپرلا او لجش وهذه المدينة كانت عاصمة الشمريين في ذلك العهد · وقد اخطا المعاصرون في كتابة (وهي تلو) شمر فقالوا سومار وصومار وسمار وصومر وسومر الى غيرها وكلها خطأ واضح فاضح والاصح ما نقلناه عن الاصل (عن زبدة تاريخ الشرق للعلامة الاب انستاس ماري الكرملي) · (٢) نقش رستم طائفة من الابنية القديمة يرى فيها صرح يظن انه لكورش (٣) جزيرة في خليج فارس كان لها شهرة في القرون المتوسطة ·

(محقق)

الوان الخيل وشياتها

بحث لغوي زراعي

يسر ارباب الزراعة والمولعين بالخيل و بالفروسية ان يطلعوا على ماقاله العرب في الوان الخيل وشياتها . و يفيد تلامذة المدارس الزراعية وخريجيها واساتذتها ان يقفوا على مايقابل بعض الكلمات العربية بالفرنسية ولذا اتيت بمقالي هذا ملماً بذلك الموضوع عن اوثق الكتب الفرنسية في تربية الخيل وعن بضعة مخطوطات عربية في خزانة المجمع العلمي بدمشق مثل « كتاب الخيل للأصمعي » وغيره ، بعد ان درست الالوان والشيات في خيل الشام .

الألوان — يراد بالوان الخيل الوان الشعر النامي على جلدها عدا العرف والسبيب والثنن[1] فهي كثيراً مايكون لونها مخالفاً للون سائر شعر الجياد . وليس لون الخيل (او ثوبها) من الصفات المورفولوجية الثابتة بل هو يتحول بالانتخاب والبيئة والسن وطرز التربية وغيرها من المؤثرات . و يكون لون المهر خلاف لونه الاساسي بعد ان يكبر . و يندر في المهر الشعر الابيض . وان وجدت فيه شعرات بيضاء حوالي عينيه وصدغيه دلت على ان لونه سيكون مشتقاً من اللون الابيض . و يكون لون الذكور ازهى من لون الاناث . ولفصول السنة تأثير في الشعر فتراه في الشتاء اطول والمع منه في الصيف .

يقسم ثوب الخيل الى قسمين بسيط ومركب فالاول ماتخلص شعراته بلون واحد والثاني ماتجمع شعراته لونين او اكثر . ومن القسم الاول الشُقْرة والدُهْمة والبياض والكُمْتة . فالشقرة هي حمرة ضاربة الى الصفرة . والفرس الاشقر يدعى بالفرنسية (Alezan) وتكون اطرافه شقراء وكذا العرف والذنب . وفي الشُقْر الوان منها الاشقر المذهب (Alezan doré) والسِلَّغْد (A. clair) اي الذي خلصت شقرته والامغر (A. cuivre) وهو الذي تعلوشقرته مغرة .

(١) شعر الرقبة والذنب ومؤخر الأرجل .

والدهمة هي السواد . يقال ادهامَّ الفرس يَدْهامُّ ادهيماما . وتكون اطراف الادهم وعرفه وذنبه سوداء من لون شعره . والادهم الغيهب (Noir de Jais) هو الشديد السواد الذي يلمع من فرط سواده . والادهم الشاحب (Noir mat) هو الذي لايلمع . و يسمي بعضُ العرب البياض شهبةً كما يدعون السواد خضرة وللفرس الابيض الوان منها الابيض الشاحب والابيض الفضي .

واحب الالوان الى العرب على قول الاصمعي هي الكمتة ولا ريب انها من احب الالوان في يومنا هذا . والكميت (Bai) اشد حمرة من الاشقر وبينهما الوَرْد (ج وِرَاد) . و يكون عرف الكميت وذنبه اسودين وكذا القوائم في الغالب . يقال إكماتَّ الفرسُ يكماتُّ اكميتاتا وجمع الكميت الكت . وفي الكمتة الوان منها الكميت الاحم (Bai foncé) وهو الذي يعلو حمرته سواد والكميت المدمّى (B. cerise) وهو الذي تشتد حمرته واشد منه الاحمر . والكميت المذهب (B. clair) وهو الذي تعلوه صفرة .

وفي القسم الثاني من الالوان شُهْبة وحُوَّة وصُفْرة و بُلْقَة .

فالا شهب يدعى بالفرنسية (Gris) وهو الفرس الذي تكون شعراته على لونين ابيض واسود على ان تتفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخاص بلون واحد كقدر النكتة فما فوقها ويعرف الاشهب ايضاً بقولهم انه الابيض الشعرة ليس بالبياض الصافي وسببه اختلاط الشعرات السوداء بالبيضاء . وفي الشهب الوان فقد يكون الاشهب قليل الشعر الاسود ضاربا الى البياض (Gris clair) او على العكس من ذلك (G. foncé) . و يكون حديدي اللون (G. de fer) او ابرش (G. sale) وهو الاشهب الذي فيه لمع بياض او ارمد (G. cendré) وهو الذي على لون الرماداو اغبر (G. rouanné) وهو الذي شملت شهبته شقرة .

والحوة صفرة الى سواد او شقرة الى سواد (Robe louvet) يقال فرس احوى وفرس حواء . اما الصفرة (Robe aubère) فهي في الخيل اختلاط شعرات بيضاء باخرى ضاربة الى الحمرة . وفي المخطوطات القديمة بياض تعلوه حمرة . ويقول الاصمعي لايسمى الفرس اصفر حتى يصفر ذنبه وعرفه . والبلقة (Robe pie)

هي ان يكون في جسد الفرس بقع كبيرة مخالفة للونه · او هي اجتماع لونين مختلفين فالفرس ابلق او مُلمعّ او ابقع او اشيم · والبلقة في اللغة مختصة بالسواد والبياض وهي بالفرنسية pie - noir او Noir pie حسب قلة السواد او كثرته · واذا كان الفرس احمر او اشقر وعليه بقع بيضاء فهو احمر ابقع (Rouge - pi) او اشقر ابقع وهكذا ·

الشيات · — هي كل لون يخالف لون معظم الفرس · وهي على نوعين عامة وخاصة · فالاولى تكون في اي جزء من ثوب الفرس اما الثانية فتكون في اعضاء معلومة ·

فمن الشيات العامة ان يكون الفرس مدنرا اي ان يكون في شعره نكت تخالف سائر لونه كالأشهب المدنر فهو بالفرنسية (Gris Pommelé) اي الذي يخالط الشهبة فيه نكت سوداء · وهو لون كثير من الخيل العربية في بلاد الشام لاسيما الاشهب الذي يكثر السواد في اطرافه و يقول كثير من علماء الغرب ان هذا اللون هو اللون الاصلي للخيل العربية وهو بنظري اجمل الألوان وان خالفت بذلك قول الاصمعي ·

وقد يكون اللون الابيض او الاشهب ارقط (Moucheté)اي ذا رقطة وهي نقط سوادٍ مبعثرة في الثوب · واذا ضرب اللون الى السواد وتخلله نكت بيضاء فاللون ثلجي ·

وتكون الشيات الخاصة في رأس الفرس وقوائمه وفي غيرها ·

فبياض الجبهة هي الغرة والفرس اغر (Marqué en tête) · واذا صغرت الغرة فهي قرحة والفرح اقرح (Légèrement en tête) واذا سالت الغرة على قصبة الانف وعرضت في الجبهة فهي سايلة (Liste en tète) · واذا دقت وسالت في الجبهة وعلى قصبة الانف ولم تبلغ الجحفلة فهي شمراخ (Letite liste) واذا سال البياض على قصبة الانف دون ان يبلغ العينين فهو اليعسوب (Liste incomplète) · والرثمة ان يصيب البياض الجحفلة العليا · اما اذا اصاب الجحفلة السفلى فهي اللُمظَة · واذا اسودّ رأس الفرس دون سائر اعضائه فهو ادرع (Cap de Maure) ·

والبياض في قوايم الفرس هو التحجيل (Balzanes) قلّ او كثر فالفرس محجل واذا كانت له يد على لون البدن مثلا فالفرس محجل بثلاث طليق تلك اليد

اوطاقها او مطلقها . اما اذا اصاب البياض القوائم كلها فالفرس محجل الاربع .
ووضح القوائم اسم تحجيلها على انواع . فاقله الخاتم وهو شعيرات بيض (Principe de balzanes) واذا جاوز ذلك بحيث يكون البياض واضحاً فهو انعال (Trace de balzanes) اما اذا جاوز الارساغ فهو تخديم (petite balzane)
واذا صعد البياض في القوائم ولم يبلغ الركبتين او العرقوبين فهو التجبيب Grande balzane
فاما اذا بلغ التجبيب الركبتين والعرقوبين فهو مُسَرْوَل (B. Haut chussee)
حتى اذا خرج من الذراعين والساقين فالفرس أحْوَج .

هذا قليل مما وضعه العرب في الوان الخيل وشياتها مع ما يقابله بالفرنسية وثمة اسماء اخرى كثيرة في هذا الباب ضربنا صفحاً عن ذكرها خوفاً من الاطالة .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

« تكريم المقتطف »

مضى على مجلة (المقتطف) نحو خمسين سنة وهي قائمة على طريقتها المثلى في نشر العلوم الحديثة على اختلافها صورها وافانينها بين ظهراني الامة العربية . ولعمري ان موقفها هذا في خدمة الوطن هو من الظهور بحيث لا ينكره احد . فلا عجب اذا قامت طائفة من علماء مصر وصفوة ادبائها في تكوين لجنة دعوها (لجنة الاحتفاء بيوبيل المقتطف الذهبي) تأخذ على عاتقها تنظيم حفلة تكريمه والتنويه بشأن صاحبيه وفضلها في نشر العلم وقد اجتمعت هذه اللجنة لاول مرة في دار السيدة (مي) زيادة الكاتبة الفاضلة المشهورة فكان رئيسها صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا وزير المعارف المصرية سابقاً واعضائها كل من اصحاب السعادة والفضيلة احمد لطفي السيد واحمد شوقي بك والسيد رشيد رضا والسيد مصطفى عبد الرزاق والدكتور محمد حسين هيكل سعيد باشا شقير وكاتبة اللجنة الآنسة (مي) التي هي في الواقع ونفس الامر صاحبة اليد البيضاء في تنبيه الاذهان الى القيام بهذا الواجب وسيكون

اوطاقها او مطلقها . اما اذا اصاب البياض القوائم كلها فالفرس محجل الاربع .

ووضح القوائم اسم تحجيلها على انواع . فاقله الخاتم وهو شعيرات بيض (Principe de balzanes) واذا جاوز ذلك بحيث يكون البياض واضحاً فهو انعال (Trace de balzanes) اما اذا جاوز الارساغ فهو تخديم (petite balzane) واذا صعد البياض في القوائم ولم يبلغ الركبتين او العرقوبين فهو التحجيب Grande balzane فاما اذا بلغ التحجيب الركبتين والعرقوبين فهو مُسَرْوَل (B. Haut chussee) حتى اذا خرج من الذراعين والساقين فالفرس أَحْوَج .

هذا قليل مما وضعه العرب في الوان الخيل وشياتها مع ما يقابله بالفرنسية وثمة اسماء اخرى كثيرة في هذا الباب ضربنا صفحاً عن ذكرها خوفاً من الاطالة .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

« تكريم المقتطف »

مضى على مجلة (المقتطف) نحو خمسين سنة وهي قائمة على طريقتها المثلى في نشر العلوم الحديثة على اختلافها صورها وافانينها بين ظهراني الامة العربية . ولعمري ان موقفها هذا في خدمة الوطن هو من الظهور بحيث لا ينكره احد . فلا عجب اذا قامت طائفة من علماء مصر وصفوة ادبائها في تكوين لجنة دعوها (لجنة الاحتفاء بيوبيل المقتطف الذهبي) تأخذ على عاتقها تنظيم حفلة تكريمه والتنويه بشأن صاحبيه وفضلها في نشر العلم وقد اجتمعت هذه اللجنة لاول مرة في دار السيدة (مي) زيادة الكاتبة الفاضلة المشهورة فكان رئيسها صاحب المعالي محمد توفيق رفعت باشا وزير المعارف المصرية سابقاً واعضائها كل من اصحاب السعادة والفضيلة احمد لطفي السيد واحمد شوقي بك والسيد رشيد رضا والسيد مصطفى عبد الرزاق والدكتور محمد حسين هيكل سعيد باشا شقير وكاتبة اللجنة الآنسة (مي) التي هي في الواقع ونفس الامر صاحبة اليد البيضاء في تنبيه الاذهان الى القيام بهذا الواجب وسيكون

من وظيفة هذه اللجنة تنظيم الدعوة ومراسلة الصحف وتقبل الرسائل والقصائد التي تتلى في حفلة التكريم وترتيب هذه الحفلة التي ستقع في اول شهر يناير سنة ١٩٢٦ (كانون الثاني) . وان مجمعنا العلمي ليهنئ المقتطف وصاحبيه بهذا التكريم ومما بلغاه في خدمة العلم ونشره كما يثني على السيدة (مي) ومن وازرها في القيام بهذه الحفلة ويحض ابناء الضاد على مشاركتها وتلبية ندائها .

هدايا دار الآثار العربية

ومقتنياتها في شهر آب

استلمت دار الآثار بأمر المفوضية العليا تسعة احجار قبور تدمرية جمعها الكولونل مركه (Colonel Marquet) .

اهمها نصب يمثل المتوفى واخوته يتضرعون الى الالهين عزيزو وارصو مع كتابة تدمرية واضحة وهذا الاثر من اهم ما وجد في تدمر . واول من اكتشفه وصوره الاثري سوبرنهيم (M. Sobernheim) في سنة ١٨٩٩ ولم يعثر منذ ذاك التاريخ الى ان وجد في السنة الماضية في تدمر . وتسلمت نصباً حجرياً مصرياً باسم الفرعون سيتي الاول من الاول من السلالة التاسعة عشرة وجدته البعثة الاثرية الافرنسية في تل النبي مند في سنة ١٩٢٢ وكان محفوظاً في متحف بيروت .

واخذت نصباً حجرياً نقشت عليه صورة عشتروت : هدية السيد منير بك البرازي من حماة

جرة فخار ضخمة	هدية بلدية حمص
« « «	هدية السيد شفيق بك الحسيني من حمص
ثلاثة صحون حجرية ومكحلة حجرية وجرن حجري ومرآة وكسر خزفية	هدية السيد حافظ زكية من حمص

ومما ابتاعته وعثرت عليه يبلغ عدده تسعاً واربعين قطعة مختلفة .

خزانة رفيق بك العظم

تسلم المجمع العلمي العربي ما اوصى به احد اعضائه فقيد الامة المرحوم رفيق بك العظم من خزانة كتبه البالغ عددها ٨٩٤ مجلداً ماعدا المجلات العربية المنوعة التي بعالف

منها مجموعة مهمة ايضاً وقد عزم المجمع على جعل هذه الخزانة البديعة في خزائن خاصة بها في دار الكتب العربية باسم « خزانة رفيق العظم » تسبل على المطالعين ويستمطرون على واقفها الرحمة والرضوان كلما رجعوا اليها في مشاكلهم ومراجعاتهم . والمجمع يحفظ كلمة شكر لشقيق الواقف الفاضل عثمان بك العظم فانه لم يأل في تنفيذ وصية شقيقه المرحوم طبق رغبته كما وعد بانه سيرسل الى خزانة المجمع تتمة ما لديه من كتب المرحوم وهي مجاميع من المجلات العربية المنوعة وهو منجز وعده ان شاء الله .

مطبوعات حديثة

« خطط الشام »

وضع هذا الكتاب القيم — في تاريخ الشام وعمرانها — الاستاذ البحاثة السيد محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي . وهو يقع في ستة اجزاء وكلامنا الآن على الجزء الاول منه .

ولما كان للتاريخ الاثر الاكبر في حياة الامم ، كان لابد لنا من كلمة موجزة توطئ بها للكلام عن خطط الشام .

كان التاريخ اكثر مايكون مجموعة حوادث يتلقفها اصحابها على علاتها من غير تحقيق ولا تمحيص ، فيخرجونها بما فيها من اضطراب وضعف ، ومبالغة وتناقض ، كتاباً ، ويسمونه تاريخاً .

ثم سمت همة المؤلفين الى نقد الحوادث ، وموازنة الروايات ، تمييزاً للصحيح من الفاسد . ولكن النقد والموازنة على مافيها من قيمة وفائدة في استخلاص الحقائق التاريخية ، ليسا بالغرض الذي يجب ان ينتهي عنده مطمح التاريخ . فلقد قال « ميشله » مامعناه . ان التاريخ الذي من شأنه ان ينشر الاعصر الخالية يجب ان يتقدمه بيان يعرب عن العوامل المختلفة التي كانت سبباً في الحوادث ونتائجها . وقبله قال العلامة ابن خلدون في حق بعض المؤرخين :« يجلبون الاخبار عن الدول صوراً قد تجردت عن موادها ، وحوادث لم تعلم اصولها .. ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقاً ، لايتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها ، واظهر

منها مجموعة مهمة ايضاً وقد عزم المجمع على جعل هذه الخزانة البديعة في خزائن خاصة بها في دار الكتب العربية باسم « خزانة رفيق العظم » تسبل على المطالعين ويستمطرون على واقفها الرحمة والرضوان كلما رجعوا اليها في مشاكلهم ومراجعاتهم . والمجمع يحفظ كلمة شكر لشقيق الواقف الفاضل عثمان بك العظم فانه لم يأل في تنفيذ وصية شقيقه المرحوم طبق رغبته كما وعد بانه سيرسل الى خزانة المجمع تتمة ما لديه من كتب المرحوم وهي مجاميع من المجلات العربية المنوعة وهو منجز وعده ان شاء الله .

مطبوعات حديثة

« خطط الشام »

وضع هذا الكتاب القيم — في تاريخ الشام وعمرانها — الاستاذ البحاثة السيد محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي . وهو يقع في ستة اجزاء وكلامنا الآن على الجزء الاول منه .

ولما كان للتاريخ الاثر الاكبر في حياة الامم ، كان لابد لنا من كلمة موجزة نوطئ بها للكلام عن خطط الشام .

كان التاريخ اكثر مايكون مجموعة حوادث يتلقفها اصحابها على علاتها من غير تحقيق ولا تمحيص ، فيخرجونها بما فيها من اضطراب وضعف . ومبالغة وتناقض ، كتاباً ، ويسمونه تاريخاً .

ثم سمت همة المؤلفين الى نقد الحوادث ، وموازنة الروايات ، تمييزاً للصحيح من الفاسد . ولكن النقد والموازنة على مافيها من قيمة وفائدة في استخلاص الحقائق التاريخية ، ليسا بالغرض الذي يجب ان ينتهي عنده مطمح التاريخ . فلقد قال « ميشله » مامعناه . ان التاريخ الذي من شأنه ان ينشر الاعصر الخالية يجب ان يتقدمه بيان يعرب عن العوامل المختلفة التي كانت سبباً في الحوادث ونتائجها . وقبله قال العلامة ابن خلدون في حق بعض المؤرخين : « يجلبون الاخبار عن الدول صوراً قد تجردت عن موادها ، وحوادث لم تعلم اصولها . . ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقاً ، لايتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها ، واظهر

من آيتها ، ولا علة الوقوف عندغايتها . فيبقى الناظر متطلعاً بعدالى افتقاد احوال مبادئ الدول ومراتبها ، مفتشاً عن اسباب تزاحمها وتعاقبها » .

فالتاريخ الحق اذن لا تكفي فيه الرواية المختارة ، بل هو كما قال « تيارس » يحتاج ايضاً الى تعليل ينظم الحوادث متسلسلة . بحيث يعرف كيف تتولد الحادثات من الحادثات . » وفائده التعليل انه يسمو بالتاريخ عن ان يكون مجموعة احاديث لا نظام لها ، فيصيره علماً او مايقرب منه . يرجع معه بالحادث الخاص الى القواعد العامة ، على ما في سائر العلوم . و يستدل به على مايكون بما قد كان .

وثمة غرض آخر حقيق بالمؤرخ ان يتفطن له ، وهو ان يجعل من همه ان يكون كتابه موافقاً اول شيء ، لمصلحة الجماعة التي من اجلها وضع الكتاب .

هذه ثلاثة اغراض يجب على المؤرخ ان يجعلها مرماه .

١ — السند الصحيح ٢ — التعليل ٣ — موافقة الكتاب للروح التي تحتاج اليها الجماعة .

فهل عندنا نحن العرب في تاريخ الشام — على كثرة التواريخ — مايسد هذه الحاجة ؟ الجواب لا ! ذلك ان المؤرخين العرب اذا كان منهم من عاير الروايات فتخير ماراه جديراً بالاثبات فان اكثرهم كان تخيره ناقصاً ، عليه اثر من العصبية او المحاباة . اما التعليل فقد كاد يكون مفقوداً بجملته . واما الموافقة للروح التي تحتاج اليها الامة ، فذاك مطلب يختلف باختلاف الازمنة . وقد كتب هؤلاء لغير هذا الزمن ، فتآليفهم من حيث الجملة لغير ابنائه .

فالاستاذ الرئيس اذا قيل انه كتب فيما كثر فيه التأليف ، فهو قد حاول في كتابه هذا ان يسد ثلمة في تاريخ الشام ، لذلك كان مسماه في محله . فهل وفق في عمله الى ماحاجتنا اليه ام لا ؟ .

ولا بد في معرفة ذلك من ان ننظر الى حظ هذا الكتاب من الاغراض الثلاثة التي نوهنا بها

١ — السند الصحيح : نظر المؤلف من اجل كتابه على ماقال في مقدمته ، في نحو من سبعمائة مؤلف من عربي وغيره ، فتخير من ذلك ما صح عنده ، ورضيه لكتابه . من الاخبار التي جاء بها الثقات من الرواة .

وقد اسند الكثير مما ذكره الى من نقل عنه توثيقاً للرواية . فجاء الكتاب من هذا الوجه نقي السند ، الا اشياء تسوق اليها احيانا العصبية ، او غيرها من المؤثرات ، مما سنشير الى بعضه في محله . وهـذا ما لا يسلم منه مؤلف يكتب في التاريخ مهما بلغ من حياده .

٢ — التعليل : اما التعليل فقد كان له نصيب في هذا الكتاب ، ولكن اقل مما كان ينبغي ان يكون في مثله . فقد يسوق اليك نبأ دولة تسقط . واخرى تقوم . وثورة ينجم قرنها . وجيش تنهزم جموعه . فلا تجد لذلك تعليلاً يكشف لك عن حقيقة الاسباب . وهذا ما نحن احوج ما نكون اليه .

٣ — موافقة الكتاب لحاجة الامة : اصبحنا اليوم في عصر القومية فيه هي الغالبة . واصبحت حياة الامة بان تتمسك بهذا المبدأ . فتقوية الروح القومية هي الطريق التي سلكها امم الغرب فبلغوا ما بلغوه . فصار حقاً علينا ان نسير سيرتهم ، اذا اردنا ان نصل الى ما يوافقنا مما وصلوا اليه . ولهذا عوامل من اهمها التاريخ . والتاريخ العربي الى يومنا هذا خلو من كل شيء يمكن ان تشتم منه رائحة القومية . وهذا نقص كبير قد استدركه الاستاذ في كتابه ولا سيما في بحثيه الممتعين : « سكان الشام » و « لغات الشام » فقد خدم بذلك الامة والحقيقة جميعاً . فاثبت ما في هذا القطر من دم عربي صحيح ، وروح عربية محاضة . حتى قبل الاسلام . وقد عزز كلامه هذا باقوال فريق من مؤرخي الشرق والغرب دفعاً لما عساه ان يرد عليه من متعصبة الشعوبية ، وان كنت لا اخاله مع ذلك يسلم منها .

اما بعض الاشياء التي انكرناها في هذا الكتاب ، ونحسب ان الذي اسالها على قلم الاستاذ انما هو الغلو في العصبية الاموية . ما ننقله اليك :

قال في الصفحة الـ ١٦٧ « الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلويين ما زال يقوى و يضعف ، وما هو الا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك ، وليس من الدين في شيء . فليس اذاً من العقل ان تسلسل هذه الاحقاد في الامة وتفرق شيعاً وتظهر بمظهر النصب والتشيع . الى ان يقول « . . . ان مسألة الخلافة بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن ، وكان لكل منهم اجتهاده ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا ينبغي

لنا ان ندرسها بانصاف ، لا ان نبالغ فيما وقع ونتعصب لفريق على آخر ..»، وهذا قول حكيم لاخلاف فيه . غير ان الاستاذ لايلبث ان يقول بعد اسطر معدودة :

« بنو امية اسسوا دولة عظيمة ، وفتحوا الفتوح ، ونشروا كلمة التوحيد ، وبثوا اللغة العربية في الممالك التي دوخوها .» ، وهذا ايضاً كله حق ، ولكنه يتابع كلامه فيقول :

فماذا عمل خصومهم لو انصف المتشيعون لهم ؟ لم يوفقوا من قبل ولا من بعد الا ان يدلوا على الامة بشرفهم ،.. ولذلك كان من المعقول ان لا يُغَض من قدر العاملين خصوصاً من كانت حسناتهم تربو على سيئاتهم ، ان كان هناك ما يجوز في تسميته سيئات ! اضعافاً مضاعفة . الملك لايقوم بالزهد والتقوى ولزوم المساجد والخطب والحماسة والادلال بصفات طبيعية اتصف بها صاحبها . الملك يحتاج كما جرى الامويون الى بذل وتسامح وتماسك ، وعمل نافع ، بعيد عن الدعوى ما امكن . في الصفات الاولى تمثل حالة العلويين ، وفي الثانية تمثل حالة الامويين » .

ان الانصاف الذي دعا اليه الاستاذ الرئيس ، والتعصب الذي حرمه في اول كلامه ، لاينطبق على ماجاء في ختامه من الدعاية والعصبية .

فنحن اذا كنا لانخالف الاستاذ في مانسبه الى بني امية من الحسنات ، ونقر لمعاوية بان له على العرب فضلاً لاينازعه فيه منازع ، فلا نوافقه في ان الامويين قوم لزمتهم العصمة فلا تنسب اليهم السيئات الا على سبيل التجوز ، وان العلويين ليس لهم الا النسب يدلون به !

لقد تساءل الاستاذ عما عمل خصوم الامويين ! فنحن نقول له انهم اوجدوا الامويين ، وحسبهم هذا حسنة . نعم اذا كان بنو امية قد انشأوا دولة غراء هي احدى مفاخر العرب على الدهر ، فانهم كانوا ايضاً ملوك العرب وخلفاء الاسلام ، والملك والخلافة لم ينشئها الامويون ، ولاهم الذين وضعوا اساسها . بل السابقون الاولون ، الحاملون امية على الاسلام بالسيف ، وفي طليعتهم علي بن ابي طالب « صاحب الحماسة والخطب ، والزهد ، والتقوى » .

لقد مضى الزمن الذي كان يجوز فيه لاحدنا ان يكون عباسياً ، او أموياً ، او علوياً . وان يتعصب لفريق على آخر . فمجد هذه الامة لايقوم بالعلويين وحدهم ، ولا بالامويين

ولا بالعباسيين . ولكنه يقوم بهم جميعاً . بل ان حضارة بني العباس تلك الحضارة التي لانزال نفتخر بها ، لم يقم بها اصحابها لولا ما سبق من عمل بني امية في توطيد اركان هذا الملك ، ماجعل العباسيين — يتفرغون لحضارتهم . وبنو أمية ماقاموا بما قاموا به لولا يد سبقت لعلي بن ابي طالب واقرانه .

ومما نحسب ان الاستاذ قد غالى به ايضاً ، قوله عن المأمون ص ١٨٨ « ولم تعد عليه غلطة سياسية ولامدنية ، نعم ان المأمون خليفة منقطع النظير ، في كثير من الفضائل وجلائل الاعمال ، اما ان لاتعد عليه غلطة فهي دعوة لايقرها التاريخ . بل في الصفحة الـ ١٩٧ ماينقض ذلك . فلقد جاء فيها . في ايام المأمون نشأت الدعوة الشعوبية ، وهل نشوء هذه الدعوة في ايامه ، وعجزه عن القضاء عليها ، او العمل على ذلك — في اقل مايكون — الا غلطة سياسية . سواء ابلغته فاغضى عنها ، ام خفيت عليه فجهل امرها .

وفي الكتاب ابيات من الشعر بعضها لاموضع له في التاريخ . والبعض الآخر ليس محله حيث استشهد به .

وفيه ايضاً عبارات تكررت بعينها في صفحات متقاربة . مما لاوجه له ، ولافائدة منه . وهو يورد في بعض الاحيان اسماء اشخاص لاهم يعرفون عند الجمهور معرفة تامة ، ولا هو يذكرهم ذكراً كافياً .

هذا مارأيت التنبيه اليه ، مما عثرت عليه في هذا الكتاب . عرضته ليرى الاستاذ فيه رأيه . وهو لايقدح بشيء في قيمة هذا السفر الجليل الذي جمع بلغته الفصيحة ، وروايته الصحيحة ، بين الادب ، وتاريخ العرب . جزى الله الاستاذ على عمله خير الجزاء ، وهدى الامة الى مؤازرته ليخرج لها باقي الاجزاء .

عضو المجمع العلمي العربي
عارف النكدي

تاريخ نجد

تأليف السيد شكري الالوسي البغدادي عنى بتصحيحه السيد محمد بهجة الاثري
وهو يقع في ١١٤ صفحة طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣

ان الحروب الناشبة اليوم في جزيرة العرب بين سلطان نجد ابن سعود و بين ملك

الحجاز علي بن الحسين جعلت الناس يستشرفون الى الوقوف على اخبار عرب نجد المعروفين بالوهابيين ومعرفة تاريخهم وجغرافية بلادهم ونشأه مذهبهم وكل ماله علاقة واتصال بهم وقد وفى بهذه الحاجة جميعها الكتاب المذكور الذي الفه علامة العراق المرحوم الالوسي مصححاً ومحرراً بعناية تلميذه الاستاذ الشيخ بهجة الاثري . ومؤلف الكتاب ثقة في جميع مااودعه اياه وذكره فيه فقد كان رحمه الله شديد التمسك بمذهب السلف الذي يدعو اليه اهل نجد و ينافحون عنه وكان من قبل وضع كتاباً في تاريخ العرب قبل الاسلام سماه (بلوغ الارب) ثم انه في بدء الحرب الكبرى حفذته الحوافز الى زيارة بلاد نجد والاجتماع بسلطانها ومثافنة علمائها . و بالجملة فان السيد الالوسي مؤلف تاريخ نجد ابن بجدة هذا الموضوع وصاحب القول الفصل فيه .

وقد افتتح الكتاب ببيان مايطلق عليه اسم نجد من جزيرة العرب على مايفهمه اهلها وسرد طائفة من الاشعار التي يذكر فيها قائلوها بلاد نجد ويتشوقون اليها .

ايا نجد لو كان النوى منك مرةً صبرنا ولكن النوى منك دائم

ثم ذكر جغرافية بلاد نجد وحواضرها وقراها والشهور من بقاعها ومقاطعة الاحساء التابعة لها اليوم و بعد ان اتى على وصف جميع ذلك عمد الى بيان احوال البلاد النجدية من حيث اخلاق اهلها ومعايشهم وازيائهم ومعتقداتهم ولاجل زيادة التعريف بسلامة معتقدهم سرد مناظرة جرت بين احد علمائهم وعالم عراقي كانت التحقيق فيها تحقيق ان عقيدة اهل نجد هي عقيدة السلف نفسها . ثم ذكر المؤلف نبذة من تاريخ امراء نجد اصحاب السلطة فيها اليوم وبيان نسبهم ورسم حكومتهم الحاضرة . وختم الكتاب بذكر بعض من اشتهر من علماء نجد لاسيما زعيمهم الاكبر الامام محمد بن عبد الوهاب .

والكتاب في موضوعه وجدة ابحاثه يهم الاطلاع عليه كل ناطق بالضاد ففيه طلبة كل لحات اديب ومؤرخ او صحافي لبيب . فالرحمة لمؤلفه . والشكر لناشر وطابعه .

الغربي